حاضري ولو ذهبت

اسم الكتاب: حاضري ولو ذهبت

تأليف: نورا دردير

نوع العمل: رواية

تصحيح: هدي شطراني

تصميم الغلاف: شروق

الإخراج الفني: شيماء حسن

رقم الإيداع: ٢٠٢٢٩٠١-٢٠٢٣

ترقيم الدولي:978-977-858-847-9

مؤسسة الولاء للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية_القاهرة

مديرة الدار:ولاء محمد الكاشف

+01210967244

elwalaapuplishing@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

وأي اقتباس أو إعادة طبع أونشر دون موافقة كتابية،يُعرض صاحبه للمسائلة القانونية، أما الحقوق الملكية الفكرية والآراء والمادة الواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير.

حاضري و لو ذهبت

رواية

تأليف:

نورا درديري

مؤسسة أوراق للنشر والتوزيع

المقدمة

هل شعرت يومًا أنك لست في المكان المناسب؟

هل قلت لنفسك ما الذي أتى بي إلى هنا! و ما المفترض بي أن أفعل؟

كيف اتعايش في عالم غريب عني؟

هل شعرت أنك غريب حتى عن نفسك!

أنك موجود في زمان ومكان مختلفين عنك تمامًا، وأن احداث حياتك لا تصلح لأن تكون حقيقة بل هي كابوس او أحداث عمل سينمائي لا يمت للواقع إطلاقًا،

أنا شعرت!

لطالما أحسست بغُربةٍ رغم أنني لم أبتعد عن موطني ابدًا!

اشعر بالوحدة رغم أني محاطة بالكثير و الكثير من الأشخاص،

-لكن- هناك دومًا شيء ناقص، لم أشعر يومًا بالإنتماء لمكان او لشخص مهما كان مدى قربي منه، مللت من رأسي المشتت و طريقة تفكيري و اهتمامي بالتفاصيل الدقيقة و قراءتي لما بين السطور، ربطي للأحداث و فهم الأشياء التي ليس من الضروري فهمها أحيانًا.

تعبت و مللت من الحروب التي لا تنتهِ بداخلي، تمنيت لو أن رأسي به محرك ديناميكي كي أوقفه قليلًا!

أو أن قلبي ببطارية استطيع انتزاعها منه حين أشعر بالألم - ولكن- مع الأسف لست علاء الدين! و لا أملك مصباحه السحري كي تتحقق أمنياتي.

بداخل رأسي يوجد عالم خاص بي كأنه: لا يكفي ما يوجد بداخل حياتي من تعقيد فأراد رأسي أن يكافئني بتعقيدات إضافية!!

عالمي لا يعلم بوجوده أحد ولا أسمح لأحد بالاقتراب منه، هادئ و فارغ تمامًا و ممتلئ حتى الفيض في نفس الوقت ضيق!

مثل غرفتي الصغيرة: مغلقة النوافذ، و الباب دومًا، وواسع جدًا كالسماء، صافي، و شفاف، و مبهج، أراه باللون الأبيض أحيانًا!

و عميق، و مخيف، و كئيب كالأسود الداكن يبتلعني بداخله أحيانا اخرى و ما اكثر هذه الأخرى، عالم متناقض مثلي، مكاني الخاص الذي ألجأ اليه و اختبئ به من الجميع.

و رغم حبي له أتمنى في استحياء لو أجد من ينجدني منه، اختبئ ولكن أتمنى أن يعثر علي أحد، أتمنى لو أن احدًا حارب من أجلي، لو أن شخصًا واحدًا انتشلني من ظلامي.

أنا اسيرة ووحيدة، صرخاتي مكتومة ولا يشعر بي أحد.

و الآن بعد أن فاضت أفكاري من رأسي وانهالت الكلمات مني دفعةً واحدة كان لابد من إيجاد حل يمنعني من الانفجار، أدرك أنني على وشك الجنون!

و لكن على الأقل لازلت مدركة هذا مما يعني انني أملك من العقل ما يكفي كي اكتب هذه الرواية.

إليكم روايتي .....

الفصل الاول

21 سبتمبر 2013

جامعة القاهرة

في الساعة الثانية عشر ظهرًا كان الجو منعش و جميل بطريقة تدعو للإندهاش و كأنه أحد أيام فصل الربيع! على الرغم من ازدحام الطرق و تكدس المواصلات في الشوارع، و أشعة الشمس العمودية على ميدان الجيزة و جامعة القاهرة، كان اليوم أجمل أيام حياتي، أملك اليوم من الحرية والنشاط ما يريني الحياة المبهجة حتى لو أقيمت حرب أمامي الآن لن اكترث لها إطلاقًا، فأنا اليوم سجينة مظلومة،

تم الإفراج عنها أخيرًا ثلاث سنوات من العذاب و المشقة ..

أول يوم دراسي في هذا العام و أسعد يوم بالنسبة للدفعة المستجدة في جامعة القاهرة، رائحة الحماس تفوح من حولي،

لم أتوقع ابدًا كل هذا الكم من الشباب يجتمعون في مكانٍ واحد في نفس الوقت!

و لكن لطالما كان لأول يوم دراسي رونق دائمًا...

استطعت الدخول اخيرًا من الباب الرئيسي بعد معاناةٍ مع صفوف الطلاب الوافدين أمام البوابة، تائهة لا اعلم من أين أتيت و إلي أين سأذهب!

الحمد لله على نعمة التكنولوجيا فأنا على الأقل اعلم الخريطة الأساسية للجامعة و أعرف أسماء المباني والمدرجات من الإنترنت، و كذلك يوجد *جروب الدفعة* النشط من قبل بدء الدراسة و مستيقظ على مدار اليوم لأي سؤال تافه كان أو مهم.

للحظه شعرت أن الجميع كوّن صداقات عداي، شردت في مكاني وحيدة احاول استيعاب هذا العالم الجديد، لا بأس لا داعي للتوتر أنا لدي أصدقاء و لكنهم ليسوا في كلية الآداب هذا كل ما في الأمر ..

وقفت لحظات أتأمل المكان من حولي، وأشاهد المجتمع الذي من المفترض أن أتعايش معه من اللحظةِ الحالية: مساحة خضراء ممتلئة بالزهور الملونة تتمركز أمام القبة، و تزيد من هيبتها و جمالها، ضحكات عالية و صرخات مفزعة،

وملابس ملفتة لا تصلح ليوم دراسي! على وجوه الفتيات!

توجد أطنان من مستحضرات التجميل!

أكاد أن أري الملابس الداخلية! لمعظم الشباب!

هل هذه فتاة أم شاب لقد أصابتني الحيرة

و هذه الفتاة هناك هل تدخن السجائر أم أنا اتوهم!

ألم يكن هذا ممنوع في الحرم الجامعي على حد علمي! ..

شعرت بوخزة بسيطة في صدري يبدو أنني سأجد صعوبة في التأقلم مع الناس هنا، انقطع حبل أفكاري و تساؤلاتي الغريبة عند اهتزاز الهاتف بداخل حقيبتي؛ فأخرجته، وقد ظهر أسم رنا على شاشته..

- **ألو**
- **صباح الفل على الناس الدحيحة من أولها**
- **دحيحة إيه بس هو أنا لو دحيحة كنت دخلت آداب!**

أنتِ كمان

- **الله بهزر معاكي يا سما! المهم مش لازم تحضري بقى من أول يوم، تعالي اقعدي معايا أنا في تجاره إنجلش**

- **كنت هشوف بس المدرجات فين و جدولي ايه و كده؟**

- **كل حاجة هتنزل على الجروب متتعبيش نفسك يلا تعالي**

- خلاص تمام بس قولي لي أجيلك إزاي؟

خليكِ معايا على التليفون لحد ما نلاقي بعض عشان ميبقاش شكلنا وحش.....

وصلت لمبنى تجارة إنجليزي ووسط الشباب والبنات والأصوات العالية عثرت على رنا: جالسة على أحد المقاعد المختبئة من أشعة الشمس بجوار سور الجامعة، صديقة عمري و جارتي منذ الطفولة لها ملامح بريئة و عيون ذهبية كعسل النحل الصافي، - ولكن- ملامحها الطفولي هذه لم تتفق أبدًا مع أفكارها المجنونة، يقال أن مع مرور السنون يصبح الاصدقاء متشابهين في الافكار، الاهتمامات، والأحلام، لطموحات و الشكل أحيانًا..

ولكننا دمرنا هذه القاعدة فلسنا متشابهين في الشخصية و التفكير ورغم ذلك نحن متفاهمين أغلب الأوقات وغالبًا ما تكون علاقتنا مستقرة.

- رناااا

- إيه ياما مانا معاكي على التليفون لازم تنادي

- متسيحيش بقى أنا بحاول ادخل في الموود وأقلد البنات هنا

- لا متحاوليش والنبي

- ها عملتي إيه من أول ما جيتي!

- ولا أي حاجة حضرت محاضرة ونمت فيها وخرجت قعدت هنا وكلمتك على طول، يلا والنبي ناكل أنا واقعة من الجوع

لم اكن لأعترض على الأكل طبعًا، لم أفهم أبدًا كيف يخاطر البشر بفقدان هذه المتعة العظيمة، ويتجهون بأيديهم لعمل نظام غذائي مشدد يمنعهم من الأكل!

ألتمس العذر طبعًا لأي شخص مريض ويمنعه مرضه من الاستمتاع بالأكل، -ولكن- لو كان السبب ليس مرض فلماذا التفريط في نعمة حلال كالأكل اذًا!

كان الأكل جيد أكثر مما توقعت، الأكل والصداقة يمثلان اليدًا حنونة في الجامعات، يد تصبرك على الاستيقاظ مبكرًا و حضور المحاضرات المملة، واستماع ما لن تفهم ضروريته أبدًا فيها، كقصةِ حياة دكتور المادة مثلًا أو المادة نفسها!!

لدي خلفية جيدة بشأن الحياة الجامعية، وكثيرًا ما سمعت القصص عنها ..

لذلك كان هدفي محدد سأكل قدر المستطاع، وأكون صداقات، واستمتع بوقتي: خروجات، ورحلات، وصداقات، هذه الفترة لن تأتي في العمر سوى مرة واحدة، ومهما كانت الحياة جميلة بعد التخرج لن تكون بقدر جمال حياة الجامعة.

مرت ساعة او أكثر منذ أن انتهينا من الأكل، رفعت رنا رأسها للسماء ثم أطلقت نهيدة وقالت:

- سما أنا زهقت
- أنتِ لحقتِ!
- اه واللهِ ملل أوي، ومفيش حد فكر يتعرف علينا

- مين إللي كانت بتقول مش عايزة تتعرف على حد ولا تدخل فعلاقه من أي نوع عشان مش بتحب حوارات الجامعة، نسيتِ ولا اية؟

- لا فاكرة بس عادي ممكن نتعرف ونبقى صحاب وكده بدل الزهق دَا

- على فكرة أنا مش زهقانة خالص عمالة أتفرج على البنات والولاد واسمع كلامهم وأحمِد ربنا أن أنا مش تافهة،

عارفة كنت هكره نفسي أوي يا بت يا رنا

- اه واللهِ أنا كمان كنت هكرهك، بقولك أيه ما تغني
- وسط الناس كده لا طبعا

- أنتِ كنتِ من كام شهر بتغني وسط المدرسة كلها ومش بيهمك حد، دلوقتي متضايقة من الناس!

- لا المدرسة حاجة، وهنا حاجة تانية، وبعدين كدَ واضح أوي إننا عايزين نلفت النظر
- وفيها أي بس ما نلفت النظر، يلا غمضي عينيك وغني بس ملكيش دعوة

- ربنا يستر من افكارك السودة دِ، أغني إيه؟
- أنا بحب أوي منك أغنية مهزومة، غنيها لي

- ملقتيش غير الاغنية دِ، دِ عالية جدًا، لا طبعًا
- والنبي بقى عشان خاطري

كنت أعلم أنه لا خلاص لي من إلحاح رنا؛ لذلك قررت الغناء، أغمضتُ عيني وأمسكت حقيبتي بيدي المرتعشة، وبدأت، ادركت أن صوتي سيعلو، وسيجعل من حولي يلتفت لمصدر، كنت أريد أن يتم ملاحظتي حتى وإن أنكرت ذلك ..

مرت دقائق معدودة وبدأ صوتي يعلو وتنخفض معه أصوات من حولي تدريجيًا، و ما إن انتهيت وهدأ صوتي تمامًا حتى عم السكون لثوانٍ بعدها وجدت صوت تصفيق حاد بجانبي، أبتسمت وفتحت عيني في فزغ لذيذ، هل حقًا هذا التصفيق لي أنا!!

بدأت أسمع كلمات من وجوه لا أعرفها أحدهم يقول "برافو" والآخر يقول "استمري"، وأخرى تهتف "يا مشرفانا" ..

ثم اقتربت مني فتاة ذات وجهٍ بشوش وابتسامة محببة، شعرت أنني قد رأيتها من قبل، وإن كان هذا مجرد احساس فقط، ولكنه يبعث الطمأنينة في النفس ويجعلني أرتاح لمعرفة صاحبة الوجه، ما إن وصلت إلي حتى قالت:

- صوتك تحفة ما شاء الله
- شكرًا ربنا يخليكِ

- أنا وسام
- وانا سما ودِ رنا

- شكلكم لسه في سنة أولى

- أه فعلًا، وأنتِ؟
- أنا تانية تجارة

و هنا تكلمت رنا وهي تستند بوجهها على قبضة يدها بملل، وتنظر إلي بسخرية:

- أنا كمان تجارة وسما في آداب، الحمد لله غنيتِ يا سما ومفيش ولا راجل جه أتعرف علينا برضة

- الله يكسفك يا بعيدة مش لازم حد يتعرف كفاية وسام و بعدين في واحد هناك عينيه منزلتش من علينا، وموترني جدًا، من أول ما فتحت عيني وأنا شايفاه.

- فين دَ؟

- عند الشجرة إللي ناحية الشمال، هتلاقيه قاعد على العربية -إللي لابس قميص أسود؟

- أيوة هو دَ متركزيش معاه بقى

و نظرت رنا، وكذلك فعلت وسام تلقائيًا و لسوء حظي ضحكت وسام ضحكة أدركتُ معناها بوضوح فور سماعها، شعرت بأطرافي ترتعش من البرد كما لو أنها فقدت اخر قطرة دماء فيها، إحمرت وجنتي خجلًا، فهي تعرف هذا الشخص لا مُحال، وأنا بمنتهى السذاجة قلت أمامها أنه لفت نظري، وأصابني بالتوتر،

ضحكت وسام ثم تركتنا، وذهبت إلى الشاب؛ فنظرت إلي رنا بدون كلام، أسب وألعن حظي السيء الذي، وضعني بهذا الموقف.

ستأتي به إلينا كان واضح من خطواتها إليه بعدما تركتنا مباشرة، حسنًا يا رنا ها قد حدث ما تمنيتِ منذ دقائق، وجاء أحدهم ليتعرف علينا، يا سعادتك!

ما أن اقتربوا واقتربت نظراته مني حتى شعرت بشيء غريب، هذه ليست المرة الأولى التي أتعرف فيها على شخصٍ جديد، ولست منغلقة لهذه الدرجة، حتى يوترني شابٌ ما!

-ولكن- دقات قلبي لماذا ترتفع؟

لا ليست دقات بل هي طبول حرب بداخل قفصي الصدري، أسمع صوت أنفاسي باذني واضحة، وأكاد أجزم أن عيني قد اتسعت حدقتها كقطرة زيت سقطت على سطح الماء ..

شعره شديد السواد كالفحم، ويبدو أنه ناعم، أو هكذا بدا لي رغم قصره، عينيه حادة، ونظرته كالصقر تمامًا حدد فريسته على بعد مئات الأمتار، قرر بثبات الانقضاض عليها، والمسكينة لن تتمكن من الفرار مهما حاولت. إنه ينظر إلي كأنني عارية أمامه لم تكن نظراته طبيعية، يطلق سهامها بدون رحمة، يراني من الداخل و ليس خارجي فقط ..

قميصه الأسود يليق بشعره الكثيف، وبشرته التي احترقت من أشعة الشمس أضافت له جاذبية غريبة! ممشوق القوام وطويل إلى حدٍ ما، يمشي نحوي كأحد أفراد العمليات الخاصة لا يتمايل ولا يبتسم، لم استوعب لِماذا هو جاد لهذه الدرجة! كانت عيناي من رأته فما شأن قلبي يرتجف! أنه يربكني و يتلف أعصابي شيئًا، فشيئًا، ليتني لم أغني أبدًا ..

اقترب مني أكثر، وانتابني شعور لم أفهمه، كأنني نجوت أخيرًا، أو عدت للوطن بعد سفر طويل، وكأنه أول قطرة مطر تسقط على أرضي الجرداء، كنت خائفة ومشتتة ولكن لا أريد الابتعاد، إحساس غريب كأني: وجدت نفسي، عقلي يريد الهلع، أريد أن أهرب أو أختفي، ولكن قلبي كانت له رغبةً مختلفة، عيني ثابتة عليه، وقدماي لا تستطيع الحراك، أشعر أن الأرض تهتز من تحتي، ولا أستطيع مقاومة اهتزازها، شعور داخلي يريده أن يأتي و يتحدث إلي للأبد...

- **ما هذا التشتت!**

أمسكتُ برأسي كمن أصيب بصداعٍ نصفي، لعل أفكاري الغوغاء تهدأ قليلًا، لم يعد هناك مجال للهروب، أصبحت المسافة بيني و بينه أقل من متر و نصف، و اخيرًا تحدث و بمنتهى الجدية:

- **أنا كمان بغني على فكرة**

تفاصيل وجهه وشفتاه، أسلوب نطقه لتلك الكلمات البسيطة، يا إلهي!! أنت أيضًا تستطيع الغناء؛ لذلك لا تبتسم وتنظر إلي كالذي أصابته رصاصة في منتصف كبريائه الفني، حسنا فهو ليس إلا شخص يرى أن صوته مميز، و يريد أن يتعرف علي؛ ليثبت أن صوته أجمل من صوتي، لا أفضل هذا النوع من التعارف، لم أتفاخر يومًا بصوتي، ولستُ من محبي المنافسة إطلاقًا، ولكن أعتقد أنني أعتدتُ على هذا فقد رأيت الكثير من الأشخاص يفعلون مثله منذ صغري، خرج صوتي متكبرًا ومحملًا بلا مبالاة مصطنعة..

- **أيه دَ بجد! طيب سمعني حاجة**
- **أنتِ الأول؟**
- **لا أنا غنيت خلاص، الدور عليك.**
- **أنا كنت بعيد مش سامع كويس، هغني بعدك لو غنيتِ**
- **طيب هغني**

مغفلة!

لماذا يسوقني فضولي إن لم أكن أريد الإستماع إليه من الاساس!!

أنا واثقة أنه سمع صوتي بوضوح؛ فهو لم يكن بعيدًا عني بالمسافة التي تجعله غير قادر على سماعي، ومن كانت بجواره سمعتني، فكيف لم يفعل هو! مغرور لقد استفزني، ولم يقل حتى أسمه، ما اسمك يا بني آدم؟

-أغنية واحدة فقط لكي أستمع إلى صوتك وأنت تغني.

لحظة! رأسي فارغ لا أتذكر أي أغنية، يا ألله ليس هذا وقت فقداني المؤقت للذاكرة، أغنية واحدة، أريد تذكر أغنيةٍ واحدة فقط، تم مسح جميع الأغاني والكلمات من ذاكرتي بنجاح، وهذه ليست المرة الأولى في الأغلب هذا ما يحدث لي عندما اتوتر، صمتُ عدة ثواني؛ لأستجمع أفكاري وأحاول تذكر أي أغنية حديثة كانت أو قديمة، شعرت بالخوف مع كل لحظة صمت تمر وبدأت نظرات الارتياب تحاوطني، ومازالت نظراته تترقب كل حركة يقوم بها جسدي، وأخيرًا ولله الحمد تذكرت أغنية وإن لم تكن مناسبة إطلاقًا و مع ذلك سأغنيها ..

***بُعدك عني انتحار* لا اعلم من صاحبة هذه الأغنية ولكني أريد أن أشكرها بشدة، لم أفهم ما السر وراء ظهور هذه الأغنية تحديدًا كمصباحٍ منير في ذاكرتي في كل موقف يطلب مني فيه الغناء فجأة، ولكن هذه الأغنية افضل من لا شيء ...**

معرفش أنا إيه بيحصل لي .. ببعد عنك بضيع

عارف طب كنت قولي .. اللهفة دِ شيء فظيع

بُعدك عني انتحار .. سايبني في وسط نار

لا قادرة اقول تعالى تعبني الانتظار .. تعبني الانتظار

أنهيت الأغنية وأنا أخفي بصعوبة توتر أعصابي، واهتزاز يدي، ورجفة صوتي. لم أنظر إليه لم أكن لأحتمل نظراته، حاولت بشتى الطرق أن أبدو طبيعية، مرت دقائق اكتشفت فيها أنني أجيد التمثيل، وليس الغناء فقط .. بعض ممن حولي أبدوا اعجابهم بصوتي للمرة الثانية بكلمات لطيفة زادت من ثقتي بنفسي ..

لكن الأهم هو، هو فقط ..

هل أعجبه صوتي؟

رفعت عيني إليه ببطء وأبتسم لأول مرة ابتسامة صرخت معها جميع خلايا جسدي، أصابتني رجفة خفيفة، وأنا أنظر إلى شفتاه، أنطق، أرجوك و أرحمني من الكلمات المتزاحمة بداخل رأسي، تحدث كي يتوقف ذلك النقاش المزعج بعقلي ..

- جميل، صوتك حلو بس ليه الأغنية دي!
- إللي جت في دماغي عادي، يلا دورك
- لا أنا صوتي وحش
- نعم !!!...

- صوتي وحش جدًا مش بغني
- انت قولت إنك بتغني عشان كدَ أنا وافقت أغني تاني
- كنتِ عايزة تسمعي صوتي أوي كدَ؟
- لا عادي مش مهم

- طيب يبقى فين المشكلة، أهدي
- أنت رخم على فكره

أتسعت ابتسامته أكثر، وهو ينظر إلي تلك النظرة مجددًا، ثم جلس بجانبي في انتصارٍ، وثقة تامة كمن حصل على ما يريد بالضبط، لمجرد وجوده بجانبي أقشعر جسدي، وأضطربت دقات قلبي، مستفز جعلني أفعل ما يريده وبكامل إرادتي، أين وسام! لتأخذ هذا الشخص من جانبي، وجهت كلامي لوسام التي كانت تضحك في الخفاء ..

- هو بجد مش بيغني؟
- لا طبعًا دَ صوته قذر

- كان قال كدَ من الأول، ليه الرخامة يعني؟
- معلش واللهِ هو حسن بيحب يرخم كدَ، مِن غير رخامة ميقدرش يعيش.

حسن ..

أخذ عقلي يردد أسمه حسن، حسن ..

إذاً اسمك حسن تشرفت بك، رغم أنك سخيف، ولكن صوت بداخلي يهمس لي: أنك لن تكون مجرد شخص عادي في حياتي،

لن تمر في حياتي مرور الكرام، سيكون لك دور مهم، وستترك علامة أنا واثقة ..

استأذنا أنا ورنا بعد محاولات عديدة مني لجذب انتباهها، وجعلها تترك الهاتف قليلًا، وتخرج من عالمها الإفتراضي لتهبط على أرض الواقع و تنقذني مِن هذه المحادثة السخيفة مع وسام، والأهم تنقذني من نظرات حسن بعد أكثر من نصف ساعة أدركت رنا أنني أريد الهروب، تبادلنا أنا ووسام أرقام الهواتف؛ أملًا في مكالمة ثم لقاء آخر ..

في طريقي للمنزل كنتُ هادئة للغاية، أتأمل الطريق برأسٍ فارغ تمامًا حيثُ: لا أسمع، ولا أدرك أي شيء مِن حولي، حرارة الشمس الحارقة، أصوات السيارات المزعجة في الطريق، البشر في الشوارع كأسراب النمل يتحرك في جميع الاتجاهات، خارجي ضوضاء، ولكني أسمع الصمت!

ووحده ربي يعلم إلي أين أذهب، وأغرق في لحظاتِ شرودي، قطع صمتي الجميل صوت رنا تردد إسمي عدة مرات: سما، سماااا، إسمي! حسن لم يسأل عن إسمي !!

- **بنادي بقالي كتير أنتِ سرحانة في إيه؟**
- **ولا حاجة عادي.**

- في ريحة سجاير خنقاني مش قادرة أتنفس

- بجد طيب افتح شباك العربية شوية!
- سما أنتِ إللي ريحتك سجاير..

- أنا، إزاي يعني جت منين!

- مِن إللي أسمه حسن دَ مخدتيش بالك: إنه شرب سجاير أربع مرات أو أكثر في الشوية إللي قعدهم جنبك!

- مخدتش بالي مكنتش عارفة أبص عليه أوي.
- غريبة مع إنك بتكرهي السجاير ومش بتستحملي ريحتها
- أقولك حاجة يا رنا؟

- خير؟
- أنا حاسة بحاجة غريبة، حاسة إن حسن دَ هيبقى شخص مهم في حياتي

- يا لهوي من أولها كدَ، هتحبي أول واحد يتعرف علينا؛ يبقى كدَ هتروحي مني في داهية من أول أسبوع!

- أحب مين يا بنتي أكيد مقصدش كدَ

- طيب قصدك أيه فهميني

- خلاص مش مهم دلوقتي، إحنا قربنا نوصل هبقى أحكيلك بعدين

أحبه! أحب حسن!

لا بالطبع لم أعني هذا أبدًا، ولكن رائحته عالقة بي!

رائحة سجائر ممزوجة بعطره الأنيق ألتصقت بجسدي،

لم أفهم ما سر سعادتي الآن!

أنا لا أحب رائحة السجائر، لماذا أبتسم دون أن أشعر، وأنا في طريقي للمنزل، منذ نبهتني رنا برائحته، وأنا أتنفس بعمقٍ ومع كل نفس أشعر بوجوده بجانبي أكثر، وصلت المنزل، وها أنا أكتب مذكراتي كي؛ أحتفظ بكل تفاصيل أول لقاء بيني وبين حسن، أكتب ذِكرى ستكون مهمة في يومٍ مِن الأيام.....

الفصل الثاني

20 اكتوبر 2016

على نفس الطاولة، وفي نفس المقهى المُعتاد، هذا مكاننا المفضل لا أعلم تحديدًا منذ متى، ونحن نأتي إلى هنا، رُبما منذ أكثر من ثلاث سنوات ..

لكني أعلم أنه من المرة الأولى شعرنا براحة، وألفه في المكان، وأحببناه سريعًا، أصبحنا جزء لا يتجزأ منه، ومشهورين، ومحبوبين من جميع العاملين فيه، رغم كوننا مزعجين في معظم الأوقات!..

موقعه ساعدنا كثيرًا ليكون مقر لقائنا، *الدقي* قريبة إلى حدٍ ما من جامعة القاهرة، ومناسبة تمامًا؛ لِيكون ملجأنا، ومقر إجتماعات القمة التي نعقدها كلما قامت إحدانا بفعل مصيبة ما، تماما كحالنا الآن..

جلستُ أنا ورنا ووسام، وامامنا مشروباتنا التقليدية، وسام التي أصبحت صديقتنا المقربة في زمنٍ قياسي، تقريبًا بعد أسبوعين من بداية تعارفنا كانت تعرف جميع أسرارنا منذ الطفولة!

ولم تختلف أيام الدراسة عن الأجازة بالنسبة إلينا؛ ففي جميع الأحوال كنا نلتقي يومين على الأقل في الأسبوع ..

بدأت الحديث رنا التي كان واضح من ملامح وجهها المرتبك أنها تنتظر بفارغ الصبر لتفرغ ما بداخلها، فما إن جلسنا حتى بدأت في الحديث:

- أنا عايزة أحكي لكم على حاجة، بس مش طالبة نصايح خالص، والنبي اسمعوني وأنتم ساكتين، أنا كلمت مصطفى إمبارح وإتصالحنا: أعتذر كتير أوي، وحلف إن مفيش حاجة بينه وبين البنت إللي شوفتها واقفة معاه.

نظرتُ لوسام ولم أتمكن من الكلام، مصطفى: بني آدم غير مسؤول بالمرة، عقله توقف في مرحلة الطفولة و لم ينضج بعدها! يطالب رنا بأشياء، ويفعل عكسها تمامًا، رجل بلا مبادئ أو قواعد، شخصية مريبة وعلاقته برنا علاقة مريضة، هذا رأيي الذي لم تقتنع به رنا! تحدثت وسام قبل أن أستطيع اختيار الكلمات المناسبة؛ للرد على رنا ..

- أنتِ عارفة كويس إنه بيضحك عليكِ بكلمتين يا رنا، أنتِ بتصالحيه عشان حابة تعملي كدَ، مش عشان هو مش غلطان، أصل مش طبيعي أبدًا دَ كان ماسك إيد واحدة، وواقف في مكان متداري في الجامعة، إزاي عرف يقنعك أن مفيش بينهم حاجة!!

- وسام افهمي هو حلف واللهِ هو حظه وحش بس، أنا جيت في وقت غلط كان بيسلم عادي مش أكتر.

- وأنتِ صدقتِ دَ! إنه سلام عادي!!

يا رنا دَ بيقنعك تبطلي تكلمي أي راجل، وبيتخانق معاكِ على أقل حاجة، وشوفي هو بيعمل إيه

- ما أنا مش مقتنعة، وبتكلم مع إللي أنا عايزاه، وبخرج وكل إللي بيجي في دماغي بعمله، مدام أنا مقتنعة إنى مش بعمل حاجة غلط.

- لا غلط هو ميعرفش إنك بتعملي كدَ، وعمومًا ما دام بتداري إللي بتعمليه يبقى غلط يا رنا.

- أنا مش شايفة كدَ، أنا شايفة إن الموضوع أخد أكبر مِن حجمه، والمهم إننا خلاص إتصالحنا، وحصل خير!

غير صحيح لم يكن الموضوع بهذه البساطة بالنسبة لرنا، ولم يتم التصالح تمامًا كما تقول، وتحاول إقناع نفسها قسرًا، أنا أعرف رنا أكثر مِن أيِ شخصٍ أخر، وأفهمها مِن اختناق نبرة صوتها، وهروب عيونها العسلية مني، هي تريد التخلص من هذه العلاقة التي تكبل أيديها وتبعدها عن نفسها بالتصوير البطيء، وتحولها لشخصٍ آخر لا يشبهها، و لكن فكرة الفراق مرعبة؛ فهي تخاف

الوحدة، و يرعبها أن تشعر بالإهمال بعد أن عرفت معنى الاهتمام، تخاف من القادم، وتخاف من المجهول: هذا هو الحال مع رنا، ولكن أليس المرء يعتاد في النهاية على كل شيء!

قطعت مناقشتهم الحادة كمحاولة مني لتخفيف الكلام وتلطيف الجو ..

- أهدوا يا جماعة في أيه، خلاص يا وسام مش لازم نتناقش دلوقتي هي عملت إللي شافته مناسب، وإللي حصل، حصل

- قولي لها بجد تخف عليا شوية مش كدَ

- هي مش قصدها حاجة يا رنا، هي بس خايفة عليكِ، وعايزة مصلحتك

- تمام وأنا مش صغيرة ولا بطلب نصيحة من حد أنا بحكي عشان إنتن صحباتي، ولازم أعرفكوا كل حاجة، بس مش لازم كل مرة أتكلم تضايقوني أكتر

- خلاص يا رنا بقى متعمليش حوار والنبي

- تمام خلينا نغير الموضوع، أحكي أنتِ مالك!

- مالي ما أنا أهو عادي

- وأنتِ يا ست وسام بلاش قفش بقى يلا أحكي إللي عندك

وسام لم تكن غاضبة وأخر شيء قد تفكر فيه هو أن تحزن رنا ولكنها فقط واضحة في كلامها كعادتها دائمًا، صريحة ما تفكر فيه تقوله كما هو بدون تجمل، أجابت وسام على كلام رنا بجملة واحدة فقط، ولكنها كانت الجملة التي لم نتوقعها أبدًا ..

- كريم أرتبط
- نعم ... !!

صرختُ أنا ورنا في نَفَسٍ واحد: نعم!

كيف حدث هذا، ومتى!

كريم يعشق وسام حتى النخاع، مِن أسبوعٍ واحد فقط كان يشتكي لي عن عدم إحساسها بمشاعره، كيف يفعل هذا! لو لم أكن أعرفه جيدًا لقلت إنه كاذب محتال، أو كانت مجرد مزحة أن يقول لي أنه يحب وسام! ولكني رأيت حبه لها، رأيته بعيني كما أرى وسام ورنا الآن، نظراته لها، ولمعة عيناه بمجرد حضورها، لابد من وجود خطأ ..

تعرفنا على كريم منذ زمن في إحدى أنشطة طلاب كلية تجارة، وأصبح صديق مقرب مني أنا، ووسام بالتحديد، أشعر بارتياح رهيب عندما أتحدث معه، ورغم قربنا منه، وكثرة لقاءاتنا -لكنه- أخفى عنا جميعًا مشاعره، حتى صدمته بنفسي حين أخبرته بعلمي بهذا الحب، ولكنه أحزنني برده الغريب،

اعتدت كريم متفائل، ومبتسم، ولم أراه سلبيًا بهذا الشكل سوى يومها حين قال:

" هي مش شايفاني خالص يا سما كل كلامها معايا إني صاحب جدع، وأخ عمرها ما تقدر تعيش من غيره، أنا عمري ما فكرت أقولها ولا هفكر أعمل كدَ، ملهاش لازمة أحرج نفسي، ومش عايز أخسرها حتى لو فضلنا أصحاب بس خلينا، أنا راضي "

حسنًا أدرك مدى وجعه، وتألم روحه، وفقدان أمله، ولكن ليس من العدل أن ندفن حب لم يرى النور بعد، لماذا حكم على تجربته بالفشل قبل أن يسعى لنجاحها! لقد وضع وسام في دور الجاني وأصبح هو الضحية دون وقوع جريمة اصلًا، دون معرفة الجاني بذنبه ..

أليس ظلمًا أن نوهم شخص آخر بالحب، ونلقيه في النار لمجرد عدم إحساس من نحب بمشاعرنا، هروبنا من حبٍ لحبٍ أخر مزيف سينتج منه فقط علاقه مشوهه لا مستقبل لها، وستنقلب علينا يومًا ما، فعذاب الضمير لا علاج له..

أليس نسيان شخصٍ بشخص آخر تعتبر نوع من أنواع الخيانة، خيانة لنا و خيانة للحب ذاته؟

أليس من الظلم تدمير حياة شخص آخر؛ لكي نشفي جراحنا؟

أليست هذه أنانية؟

لم يكن هذا اليوم كما خططت له إطلاقًا، عندما أردتُ الذهاب إلى المقهى كنت أتخيل جلسة مختلفة: محادثات بسيطة، وحكايات الجامعة السخيفة، ومشروب بارد ينعش الحياة بداخلي من جديد، والعديد والعديد من صور كالمعتاد ..

خصيصًا اليوم؛ أردت الهروب من أحداث قد شغلت تفكيري، ومشاعر مؤلمة أرهقت روحي، -ولكن- لم يحدث ما أريد، وأصبحت مهمومة أكثر!!

أريد الذهاب للمنزل، وإغلاق غرفتي على نفسي، والنوم، لم يكن هذا اليوم يومي أبدًا، فقط لينتهي هذا اليوم بأحداثه، وهمومه ..

ساد الصمت بيننا، وأصبح كل منا غارق في تفكيره وخيالاته، كم أردت الحديث، ومشاركة رنا ووسام فيما يشغل قلبي، ولكن لم استطيع، كلماتي تختنق بداخل حلقي، وتخونني تعبيراتي عندما أريد توضيح ما أشعر به ..

لم يدرك أحدًا منهم مدى وجعي، ولن يدركوه.

الفصل الثالث

في منزلي على سريري احتضن وسادتي الصغيرة: المنهكة من تأثير أنفاسي المتلاحقة عليها، اتقلب كسمكة ملقاه على الارض تلتقط أنفاسها الأخيرة بعدما تم اصطيادها من قبل صياد ماهر، لم يحالفني الحظ في النوم فالنوم و التفكير لا يجتمعان أبدًا في وقتٍ واحد ..

كلما اردت الهروب من التفكير ومحاولة النوم، هرب النوم مني وتعمقت في التفكير أكثر، وعند الهروب من النوم، ومحاولة التفكير، والمذاكرة مثلًا يصيبني النعاس كمن أخذ جرعة من منوم قادرة على إدخاله في غيبوبة ..

محاولاتي فشلت جميعها، وظل عقلي يصرخ " لن تنامي الليلة، لن ترى عيناكِ الراحة لابد من حسم افكارك، والوصول لقرار "، حسنا ما لم استطيع النطق به مع أصدقائي سيستطيع قلمي البوح به، أخرجت من احد ادراج مكتبي مذكراتي المتواضعة ..

بإمكان الإنسان أن يكون صديقٌ لأشياء كثيرة غير البشر، تعلمت أن تكون غرفتي، ومذكراتي، وذلك الهاتف المحمول الذي لا يفارقني أبدًا هم أصدقائي المقربين، أحببت الكلام مع الفراغ المحيط بي في الغرفة، آلفت الصمت، وبقدر ما أنا اجتماعية، ومحبوبة نهارًا، أنا وحيدة منطوية بداخل سريري ليلًا ..

أمسكت قلمي؛ لإخراج ما بداخل رأسي من همومٍ وأفكار، لطالما ساعدتني مذكراتي، وساندتني، استمعت إلى معاناتي، وأوجاعي، لم تمل مني أبدًا و لم تشعرني بثقلي عليها مهما تكلمت، إنها تعرف عني أكثر من الجميع: فهي أنا، هي نفسي على هيئة حروفٍ وكلمات، احتضنتها معتذرة من كل قلبي لما تراه معي من متاعب، ولكن لتتحملي يا صغيرتي من أجلي هذه المرة أيضًا ..

" لقد تحدث إلي اليوم وأراد رؤيتي، لا أدري لماذا ارتبكت لهذا الحد! مر أكثر من خمسة اشهر منذ أخر لقاء بيننا، منذ قرر وحده أن الابتعاد عني أفضل لكلينا، خلال هذه المدة لم اعرف شيء عنه، يتجنبون الحديث عنه أمامي، خمسة أشهر مرت، ولم يشعر أن شيئًا ينقصه في غيابي، لم يفكر مرة أن يعرف أخباري ولم استطيع أن اقدم على هذه الخطوة،

اختلطت: أفكاري، وأنفاسي، ودقات قلبي معًا مع اتصاله اليوم، لم استطيع منع نفسي من الرد، والتحدث معه سوى لثوانٍ قليلة، ثم اجبت على اتصاله، لقد اشتقت: إلى صوته، وانفاسه بقربي، وللمسة يده، اشتقت لنظراته، و ابتسامته الجميلة، اشتقت إليه كثيرًا .. .. .. "

توقف قلمي فجأة، ماذا أكتب! اشتقت إليه..

لماذا، ماذا فعل بقلبي حتى يعشقه لهذا الحد!

هل هذا ما أشعر به حقًا بعد كل ما حدث!! ما زلت أحبه، واشتاق إليه ..

توقفت عن الكتابة، وألقيت قلمي بعيدًا، فأنا ولأول مرة لا أريد مواجهة نفسي، كيف تخرج مني هذه الكلمات؟

كتبت دومًا ما أشعر به في مذكراتي بدون خوفٍ أو تردد، ولكن الوضع الآن مختلف، أنا لست كالسابق أو من المفترض أنني لست كذلك، حتى إن كانت مشاعري لم تتغير، على الأقل عقلي تغير، ونظرتي للأمور تغيرت ..

ألم ينضج عقلي من كثرة الجراح، والفراق!

ألم يفهم قلبي أنه لم يعد هناك مكان للحب الاسطوري، والتضحية اللانهائية كما في الروايات!...

ألم يؤلمني الخذلان!

ألم أنوي التوبة عن هذا الحب؟

بدأت انظر إلى مذكراتي، وأقلب في صفحاتها لا إراديًا، وأقرأ كلماتي الواقعة في الحب، قرأتُ صفحةً تبدو كراقصة في أبهى لحظات نشاطها و استمتاعها، وصفحة أخرى فيها كلمات لا تتعدي البضعة أسطر: ساكنة كمقبرةٍ دُفِنت فيها بقايا أحلامٍ ومشاعر مدمرة، قطرات من الدموع سقطت على فمي، واختلطت بابتسامة ابتسمتها رغمًا عني، توقفت عند ذكرى كتبتها قديمًا، ولم تذهب عن بالي ليلةً واحدة ..

25 اكتوبر 2013

اليوم يوم الاعتراف العالمي، لم أقتنع أبدًا بالحب من النظرة الأولى ولكن يعلم الله أن حسن خطف قلبي واستحوذ عليه من أول لقاء، لقد كان ذلك النور الذي ركضت إليه وحدي في نهاية طريقي المظلم بعد سنين من الضياع في المجهول، والآن تأكدت أنني عاشقة له، اليوم أعترف أننا لسنا مجرد أصدقاء ..

بعد إنتهاء يومي الدراسي أتصل بي، وأصر أن انتظره حتى ينتهي من عمله القريب من الجامعة، انتظرت وما إن أتى حتى بدأ يومي بالازدهار ..

تفتحت الورود بداخل قلبي، وأقبل ربيعي في شهر أكتوبر، جلسنا خلف مبني قاعات الامتحانات، سألته بدلالٍ وسط الحديث:

- **حسن عايزة أقولك حاجة، مش إحنا صحاب!**

- **لأ**

- **نعم ..!**

- **أنا وأنتِ مش صحاب، عايزه تقولي إيه بقى؟**

- لا خلاص بقى ماهي باظت

- ليه بس دَ كده اتصلحت واللهِ، يلا قولي

- اكذب عليك لو قلت لك إني فاكرة كنت عايزه أقول إيه!

ضحكت من خجلي، وارتباكي، نظراته لي لن أنساها أبدًا، كان يدرك تمامًا أنه يوتر أعصابي، وتنهار كلماتي، وتتوه أمام نظره، أو ابتسامة منه ولذلك كان يطيل النظر مستمتعًا باحمرار وجهي، وتلعثم كلماتي ..

لم أشعر بالوقت إلا عندما أتي حراس الأمن يطلبون منا الخروج من الحرم الجامعي، حينها انتبهنا للهدوء الذي حل على المكان، و قررنا الرحيل آسفين.

أغلقت مذكراتي، وأنا أنهار كليًا، ليتني لم أقرأ لقد أتت ذكرياتي على مسامعي كجنود حرب أمامهم أسير من الأعداء يجلدونه بلا رحمة و يتلذذون بسماع صرخاته، وآهاته، أصبحت المشاعر بداخلي متضاربة أكثر، لم ينقصني سوى جلد ذاتي، ألم يكن يومي متعب بما يكفي!

أريد النوم، ولو في ثلاجة الموتى ..

الفصل الرابع

21 أكتوبر 2016

مرت ساعات طويلة وأنا على نفس الحالة: أتأمل عقارب الساعة، وهي تتحرك في معدلها الثابت حتى وصلت الساعة التاسعة صباحًا، ولم تغفل عيني قط! أنفاسي ثقيلة على قلبي، وضعية الجنين ستظل دومًا الوضعية المفضلة لدي في النوم، ما زالت وسادتي بين ذراعي منذ الليلة الماضية، وسادتي التي تشبعت من دموع عيني، رأسي ستنفجر من ازدحام الكلمات بها.

يجب تشتيت عقلي بشيء اخر، لطالما كان الهروب هو الحل الأنسب، أهرب من قلبي لمشاكل الآخرين لعلي؛ أنسى ما يدور بعقلي ويضرب رأسي بمطرقة من حديد، أمسكت هاتفي أبحثُ عن اسم كريم.

- **صباح الخير يا *كيمو* عامل إيه؟**

- **صباح النور انا تمام الحمد لله، كنت متوقع إنك هتتصلي امبارح أتأخرتي ليه؟**

- يمكن كنت بحاول استوعب، أنا مش هعرف اتكلم معاك في التليفون انا محتاجة اشوفك وافهم منك

- مفيش حاجة محتاجة فهم ولا كلام يا سما

- كريم متحاولش تقفل الكلام أنت متوقع وعارف إني هكلمك يلا قل لي هشوفك أمتى؟

- طيب أنا رايح الجامعة دلوقتي فوقي من نومك، وتعالي

لم أعد أذهب إلى الجامعة إلا للضرورة، في الأغلب تكون خروجاتي مع أصدقائي في المقهى، أما الجامعة لحضور المحاضرات المهمة، والتي لا تتعدى الثلاث محاضرات فقط اسبوعيًا، تنبعث رائحة الذكريات في كل مكان؛ تذكرني بأصحابها دائمًا، وأنا امتلك ذاكرة فولاذية لا تساعد أبدًا على المضي قدمًا، في كل طريق في الجامعة لي ذكريات مع حسن: أغلبها سعيدة، ولكنها تؤلمني الآن، لم توجعني الذكريات المحزنة بقدر ما قتلت روحي تلك السعيدة ..

يا ليتني أتذكر السيء فقط

وصلت الجامعة، وأنا أخفي معالم الأرق، وقلة النوم على وجهي ببعض المكياج، وعند مقر الأسرة المشترك فيها كريم رأيته محاط بأثنين من أصدقائه أعرفهم معرفة سطحية، وفتاة لم ارها من قبل تبدو أصغر منه سِنًا، رآني من بعيد فأشار إلي بيديه أن انتظر، ثم استأذن من معه وأقبل علي مبتسمًا، وما أن وصل، وألقى السلام حتى طلبت منه الذهاب سويًا؛ لإحضار كوب من القهوة كي؛ استطيع التركيز قبل البدء في الكلام عن أي موضوع ..

- أنا عارف أنتِ جاية تقولي إيه

- طيب كويس وفرت عليا يا كريم، قولي إيه ردك بقى؟

- معنديش رد، أنا مش عايز أفضل مستني حاجة مش هتحصل

- مين حكم عليها إنها مش هتحصل، أنت مقولتش أصلًا لوسام إنك بتحبها، مديتهاش الحق إنها ترفض أو تقبل

- هترفض طبعًا عشان؛ حتى كلامها الحلو ليا بيوجعني عشان أخره دايمًا يبقى كلمة أخويا، يبقى أقولها ليه يا سما؟

- بس بتقولك برضه إنها متقدرش تعيش من غيرك، صدقني إنها بتقولك كدَ دَ مش معناه إنها مش بتحبك، هي بس ضد الارتباط في الجامعة عمومًا ما أنت عارف وسام.

- وأنا عشان كدَ قررت أعيش حياتي جايز لما أرتبط أنساها، أو اكتشف إن أنا مكنتش بحبها من اصله!

- انت بتهرب يا كريم، ودَ مش صح مفيش حاجة إسمها إنك تنسى شخص بشخص تاني دَ ظلم

- بس نهى عارفه

- نهى! إللي أنت أرتبط بيها! عارفة إيه؟

- أه هي عارفة إني بحب وسام

- إزاي! أيه العك دَ، هي إزاي ترضى على نفسها كدَ

- رضيت عشان بتحبني، وهتساعدني إنى انسى وسام

- هي إللي طلبت منك ترتبط بيها،هي أخدت الخطوة دي صح!

- ايوة

- واللهِ جدعة على الأقل اعترفت بحبها، وجربت حظها، مع إني ضد الظلم إللي ظلمته لنفسها، بس هي حرة وأهي حاولت تعمل حاجة

- قصدك أيه يا سما خليكِ صريحة

- أنت عارف قصدي كويس، وعارف أنا بحبك قد ايه يا كريم، ومش في نيتي اضايقك خالص، دَ أنا أكثر واحدة هتفرح لك لما

ترتبط و تبقى مبسوط بس مكنتش حابة إنك تظلم نفسك، ونهى، ووسام بموقفك السلبي دَ ..

- سبيني أبعد شوية يا سما جايز أرتاح، خليني أجرب

كيف يمكن أن يكون في البعد راحة؟

كيف للنسيان أن يكون هو الحل؟

هل الحب لا يستحق منا المحاولة بهذا القدر! الحب يعني الحرب و المجازفة، السباحة في بحر غريق تياره يجرّك للأعماق، ومع ذلك تُبحر بكل إصرار لتصل للبر، ولكنك حين تصل هناك؛ ستدرك أن لمعاناتك قيمة وأن حبك كان يستحق التضحية بكل شيء في سبيله ..

- سما، سما أنتِ كويسة ؟

- أه تمام

- مش حاسس إنك كويسة عينك باين عليها التعب، قولي لي في ايه!

- مش نايمة كويس بس، كريم أنت بعدت عشان فاكر إن مفيش أمل و إن حبك مش حب متبادل، بس إيه إللي يخلي واحد

يبعد عن إللي بيحبها و بتحبه فجأة بدون أسباب، و بعد فترة يرجع تاني برضه بدون أسباب!

- معرفش يمكن في واحدة تانية في حياته مثلًا، أو إنه كان بيتسلى من الأول مكانش بيحب، بس ليه السؤال دَ دلوقتي؟

هو في حاجة جديدة حصلت!

أنتِ عايزة تحكي لي حاجة؟

- لا مفيش حاجة بسأل عادي

- أنا متأكد أن فيكِ حاجة بس بتحوري وأنا هسيبك براحتك، بس كنت عايز اطلب منك طلب بلاش حد يعرف الكلام اللي قولناه النهاردة

- متقلقيش محدش هيعرف

تركتُ كريم و ذهبت للمحاضرة، جسدي حاضر، وذهني في مكان بعيد، يتحرك دكتور المادة أمامي كممثلٍ في عمل مسرحي صامت، عقلي يفكر فيما قاله كريم، لم افكر أبدًا في هذه الاحتمالات المرعبة ..

هل كنت مجرد تسلية، ومضيعة للوقت بالنسبة لحسن! هذا مستحيل ..

هل من ممكن أن يكون أحب أخرى؟

لا ليس صحيح، حبي أنا وحسن لا يمكن أن ينتهي بهذه السرعة، لا يمكنه استبدالي بأخرى، مجرد وجود هذه الفكرة في رأسي جعلتني أصاب بتقلصات القولون العصبي فورًا، لو كان كذلك لماذا أتى إلي مجددًا! لماذا يريد رؤيتي مرة أخرى؟

افقت من شرودي على خبطةٍ جانبية خفيفة قامت بها فتاة جالسة بجانبي، تنبهني أن هاتفي يرن، أمسكتُ الهاتف وأجبت بصوتٍ منخفض على رنا و أنا أحاول التخفي من الدكتور، حتى لا أتسبب في إحراج نفسي، والطرد أمام المدرج كله ..

- **ألو وصلتي الجامعة يا رنا**
- **اه وصلت، أنتِ صوتك واطي ليه، أنتِ بتحضري؟**
- **أه أنا في المحاضرة استنيني عند باب تجارة، أنا ربع ساعة وهجيلك**

مضت الربع ساعة المتبقية في المحاضرة ببطء كاد أن يقتلني، خرجت بعدها أجرُ أقدامي؛ لتصلني إلى رنا، قبل أن أسقط مستسلمة للنوم في منتصف الطريق، عيني تلونت بلون الشمس في لحظات غروبها الاخيرة من كثرة التعب، أجلستني رنا على المقعد، وجلست بجانبي ترمقني بنظرات متعجبة من ارتخاء اجفاني، وملامح وجهي المرهق

- سما أنتِ شكلك تعبان، نزلتي ليه وأنتِ كدَ؟

- لو قعدت في البيت كنت هتعب أكتر، وبعدين كان لازم اشوفك و اشوف كريم

- و شوفتيه وسألتيه عن إللي حصل ولا لسه!

- أه بس مفهمتش منه حاجة قال لي إن الموضوع جه بسرعة، ومكانش في فرصة يحكيلنا بس كدَ!

- غريب أوي بصراحة دَ مفكرش يقول لحد فينا، ولا حتى أنتِ، بس سيبك منه المهم قولي لي مالك! في حاجة حصلت

- حسن كلمني وكان عايز يشوفني

- حسن! كلمك ليه، عايز أيه منك بعد الفترة دِ كلها؟

- معرفش في التليفون مقالش حاجة واضحة، بس طلب يشوفني و معرفتش أرفض ولا أوافق، قلت له هفكر

- تفكري في أيه! أرفضي طبعًا أنتِ هتسمحي له يدخل حياتك تاني!

- أنا مش عارفة أقرر، وبعدين أنا معرفش هو راجع ليه؟ مش يمكن ندمان أو جاي يفهمني سابني ليه!

- هتفرق في أيه بعد شهور سايبك لوحدك، ييجي يقولك مبررات!!

أنتِ وحسن مكنتوش مجرد أثنين مرتبطين يا سما، أنتم كنتوا هتتجوزوا، وسابك فجأة إزاى بتفكري تكلميه تاني!

- أنا إللي كنت برفض الجواز مش هو؛ فبلاش تشيليه ذنبي في الموضوع دَا

- وكان السبب إنك لسه صغيرة، وهو أول تجربة ليكِ وطبيعي إنك تبقي خايفة، بس هو كبير، وعاقل المفروض كان عرف يطمنك، ومع ذلك مش مهم إللي فات، دلوقتي بقى هيعرف يطمنك يا سما؟

- معرفش بس أنا بفكر أشوفه

- مش عارفة أقولك إيه، أنا لو مكانك مش هرضى

- معلش يا رنا بس أنتِ مش مكاني.

ساد الصمت بيننا للحظات، وتبادلنا نظرات كلانا نعرف معناها بوضوح ..

نحن أعند من أن تُقنِع إحدانا الأخرى بوجهة نظرها، وبعد حوارات طويلة، ومناقشاتٍ مرهقة لم تجدي نفعًا، ولم تحسن من حالتي، تركتُ رنا بجسدٍ خالي تمامًا من الطاقة، وذهبت للمنزل، لم أشعر بنفسي إلا عندما ألقيت جسدي على السرير من قبل حتى أن أبدل ثيابي! ورحت في سبات عميق كطفلة صغيرة أرهقها البكاء؛ فهرعت لحضن أمها تنتحب، وأحسّت بالأمان وهدأت أنفاسها نامت في سكينة وستسلام ..

الفصل الخامس

لو أعلم أنه لن يجيب على اتصالاتي، لو أتيقن من سوء شخصه، لو افترقنا بسبب جرحٍ عميق، أو خيانة مفجعة لأصبح وضعي أفضل الآن، حتى وداعنا لم يكن سيء، لم يعطيني سببًا كافيًا لأكرهه، ابتعد في هدوء بدون أسباب، كان لي: نِعَم الحبيب، والصديق، والسند، كان ركني الدافئ، وملجأي الوحيد، كان وطني في ليالي غربتي الطويلة، لم يقترب مني أحد و يفهمني كما فعل..

ربما هذه هي مأساتي، ذكرياتي السعيدة تؤلمني، ليته أخذ ذكرياته معه عندما رحل، ليته يفهم إنني اتمزق من حنيني وشوقي إليه، لقد ترك فجوة بداخل قلبي لن يملأها بعده شخص اخر، لم تعد عيناي قادرة على رؤيةِ أي رجلٍ سواه، ليتني أتذكر انانيته، وإهماله فقط ..

ورغم أن قلبي هاجر الجميع وانعزل، لكنه مال إليه! ورغم أنني في العادة ضيقة الخلاق، انتظرته، و رغم إيماناتي المعقودة بالبعد عن الحب، عشقته!

كانت الذكرى تأخذني كل ليلة إليه؛ وليختنق عنقي من الألم، ويعتصر فؤادي من الحنين، رحل عني ولكنه لم يغيب قط، سيظل بداخلي حبيب لن يكرره الزمان مرة أخرى ..

مشاعري متضاربة لا أستطيع فهم نفسي، جانب مني يريد احتضان حسن و إخباره باشتياقي إليه منذ اللحظة الأولى في غيابه، وجانب آخر يريد الرحيل عنه تمامًا كما فعل، وجعلني أعاني شتات التفكير، وانهيار الأحلام بدون سابق إنذار ..

و لكن لم أقدر على المقاومة بعدما أتت منه رسالة تحمل جملة واحدة كانت قادرة على هدم قلاع كبريائي وبقايا غرور نفسي،

ـ سما انا محتاج لك ـ جملة بسيطة!

ولكن لطالما كانت قادرة على إذابة الجليد المحاط بقلبي،احتياجه لي يزلزل كياني، ويثبت لي أنه لا يستطيع العيش بدوني وان طالت مدة الغياب سيعود إلي مجددًا، هو يعلم جيدًا نقاط ضعفي يعلم أنني بحاجة لحبه، وهو الآن بحاجةٍ إلي، وبدون وعي وجدت يدي تجيب عليه برسالة تتضمن موافقتي على رؤيته ..

****

لم اتحدث مع وسام، لم أخبرها بما حدث خوفًا على علاقتها بحسن التي تسوء بفضلي، بعدما كان حسن بمثابة الأخ الأكبر لوسام، فهو أول شخص تعرفت عليه في الجامعة، ورغم أنه أكبر منها بثلاثِ سنوات إلا أنهم أصبحوا اصدقاء مقربين، وقضوا معظم أوقاتهم معًا ..

و الآن لا يتحدثون سوى في المناسبات أو للضرورة والفضل يرجع لي مع الأسف، قلّت معاملتهم بعد ترك حسن لي، وشعور وسام بالذنب!

دائمًا كانت تساند حسن وتراه لا مثيل له، هي أيضًا لم تفهم ماذا حدث في الشهور الأخيرة، ولم تجد مبرر مقنع لحسن، فاعتذرت نيابة عنه، وانسحبت فضلت عدم التدخل، وتجنبت تمامًا الحديث عنه أمامي، وقد احترمتُ رغبتها ولم ألومها قط ..

وما الفائدة إذا تكلمت معها، واخبرتها بما حدث؛ لن يختلف رأيها كثيرًا عن رأي رنا، وسيزداد الأمر تعقيدًا، لا احد يضع نفسه مكاني، ويشعر بما أشعر به، ربما كانت هذه غلطتي، أنا من أختار الاختباء من الجميع و الانهيار وحدي، وعدم اخبار أي شخص بكسرة روحي، لا احد يدرك حجم معاناتي بدون حسن و وحدتي في غيابه، بعده تُرِكت في مدينة مهجورة لا يعلم بوجودها أحد، ولا سبيل للخروج منها سوى رجوعه ..

****

23 اكتوبر 2016

لا افهم السر في نومي المتقطع، وكثرة الأحلام الغير مفهومة التي تأتيني في الليل؛ فاستيقظ محطمة العظامِ والأعصاب غير قادرة على التركيز إطلاقًا، اليوم أنا بحاجةٍ لكل عصب في جسدي، احاول جمع شتات نفسي والتماسك قدر الامكان، سأرى حسن لأول مرة بعد طول غياب، لا اعرف حقيقة مشاعري، ولا اريد

التفكير فيما قد يحدث، لا اريد رفع سقف طموحاتي، وأحلامي؛ خوفًا من انهياري تحت حطامها بعد اللقاء، ولا أريد التفكير في الاسوأ فأتدمر من قبل ان أراه ..

في طريقي للمقهى الأقرب لقلبي بعدما أخبرت حسن أن لقائنا سيكون فيه، تتخبط المشاعر في قلبي، وتنتفض كحبات ذرة ضعفت قدرة احتمالها من تأثير الحرارة الشديدة عليها؛ فانفجرت متتالية، تسارعت الأفكار، والذكريات في مخيلتي،

وفجأة لمعت ذكرى اعتراف حسن بحبه لي امام جميع أصدقائنا، جعلت قلبي يسقط مغشي عليه، وضعت يدي على صدري محاولة تهدئة نبضاتي المتسارعة، شعرت بجسدي يحترق، وتدفقت الدماء في أوردة عنقي دفعة واحدة، وجنتي أصبحوا جمرتين من نارٍ، ليس هذا الوقت المناسب للحنين؛ لا يمكنني الانهيار الآن، التفتُ حولي خوفًا أن ينتبه الناس لتورد وجهي، وتعالي أنفاسي، لا يجب أن يظهر علي معالم الاشتياق، يجب أن أتمالك أعصابي ..

ليه يا حبيبي بتسأل قلبك ..

أنا هنسى ولا أنا هفضل جنبك ..

هو أنا كان بإيديا أحبك..

لما هيبقى بإيدي انساك .....

كانت محض صدفة أم هي مؤامرة كونية ضدي في هذه اللحظة! هل يعقل أن صاحب المقهى لديه علم مسبق بلقائنا؛ فقام بوضع هذه الاغنية تحديدًا ليتلف ما تبقى من اعصابي؟

كانت رأسي تستغيث طالبة النجدة، واطرافي الأربعة ترتعش مع كل جملة يغنيها "حماقي"، كل كلمة لها معنى يخترق اغوار قلبي، كانت هذه من ضمن أغاني حسن المفضلة لطالما حفرتُ هذه الأحرف على يدي بخط حسن، ولطالما احتوت محادثاتنا على كلماتها حين كان يهديها إلي ..

رائحة سجائره المعتادة، وعطره الفريد ملأت الهواء من حولي، لا يمكن أبدًا أن أخطئ في معرفة هذه الرائحة، تنفست الصعداء في ألم استمتع برائحة غابت عني شهور، وانتظرت قدومه من خلفي، واقتراب خطواته الهادئة من طاولتي، و قد تعمدت عدم الجلوس في مواجهه الباب حتى لا تتعلق عيني عليه ..

جلس أمامي في صمت، لم يتغير أبدًا نفس الوقار والجاذبية، يلفت الانتباه على الفور، ويعجب به كل من يراه، يجلس في شموخ واضعًا إحدى قدميه على الأخرى كأن الكون يدور حوله هو فقط، نظر إلي كأنه يراني لأول مرة، تفحص كل قيد أنملة في جسدي، انتبه لارتعاش يدي فأخفيتها سريعًا أسفل الطاولة، ثم كسرت الصمت قبل أن تنهار قواي أمامه:

- **عايز تشوفني ليه يا حسن؟**

- عايزك جنبي، محتاج لك في حياتي يا سما
- لما أنت محتاج لي مشيت ليه!

- مش هتفرق، بلاش نتكلم في إللي فات
- لا لازم نتكلم، أنا محتاجة أفهم اللي فات عشان؛ أعرف أخد خطوة واحدة لقدام.

- صدقيني انا لما سيبتك مكنتش قاصد اتعبك، ولا اظلمك معايا، أنتِ كنتِ أهم شخص في حياتي، واقرب واحدة ليا

- أيه اللي حصل بعد كدَ! أيه اللي بقى أهم مني

- مفيش حاجة أهم، بس إحنا مبقناش زي الأول، بقينا نقول نفس الكلام، ونروح نفس الأماكن حتى خناقاتنا متكررة مفيش جديد، مبقتش قادر أسعدِك، ولا أنا بقيت مرتاح زي الأول، بدأت ابعد واشتغل أكثر عشان ميبقاش في وقت كتير نتكلم، ونتخانق فيه، وأنتِ كنتِ مراعية و مقدره تعبي في الشغل، بس دَ كان بيعذبني، أنتِ بتتعلقي بيا، وأنا بهرب، أنتِ عايزاني وأنا مبقتش حاسس بكدَ، بعد فترة اترقيت في الشغل، وبدأنا منتكلمش بالأيام ومش بنحس بفرق غير إني كنت بتخنق اكتر، وبحس بتأنيب ضمير لحد ما أخذت قرار إني لازم أبعد، دا أنسب حاجة ليا وليكِ،

كان نفسي لما ابعد تبقى فرصة لينا نجدد علاقتنا، ودَ إللي حصل أهو ..

تحجرت احبالي الصوتية، وارتسمت معالم الدهشة على وجهي، وأرتفع حاجبي لا إراديا، من بين كل أسباب الفراق لم أجد سبب أسخف من هذا!

هل ضمنت وجودي لهذه الدرجة، ملل!

هذا حقًا عذر أقبح من ذنب، كيف له أن يشعر بالملل من حبي! شعرت للحظة أنني استمع لأحدى النكات، والتي لم تكن مضحكة أبدًا، ما هذه السخرية القدرية!

كنت أبحث لحسن عن أي سبب ولو صغير؛ كي أسامحه على غيابه وبعده عني، ولكن الآن هل استطيع مسامحته!!

- أنتِ إللي كنتِ عايزه تعرفي السبب يا سما، أنا مش عايز اوجعك اكثر بالعكس أنا عايز نرجع صحاب تاني، أنا عايزك في حياتي؟

- عايزني في حياتك تاني! لحد ما تزهق تاني! ولا عايز ترقية جديدة في الشغل، ومحتاج تشجيعي!!

- لا طبعا لا دَ ولا دَ، أنا عايز نرجع نتكلم و نتقابل، جايز إللي بطلبه كثير، وعارف إني تعبتك بس أنا كمان تعبت، واللهِ عشان كدَ رجعت.

- لا أنت مش عارف بس ممكن أقولك! أنا عيطت قدامك و قلت لك متسبنيش، ومع ذلك مشيت! قلت لك فهمني سايبني ليه، ومتسيبنيش لدماغي، وفي الأخر طلع كل دَ كان عشان زهقت!

- أديني فرصة أصلح إللي عملته..

ظننت لوهلة أنه العوض الذي سيرجع النبض لقلبي من جديد، كانت لحظة عابرة حين تصورت أن المستقبل بيننا سيكون مشرق، رغم علمي بمرارة الماضي! كانت لحظة تفاؤل و تلاشت حين نطق حسن بتلك الكلمات، كثرت التعبيرات بداخلي،

ولا أجد الكلام المناسب، عقدت حاجبي في اندهاش ثم نظرت إلى عيناه أبحث فيهم عن نفسي، أتأمل نظراته المذبذبة فلا أجدني، امسكت حقيبتي، ووقفت ولم يحاول حتى منعي، رحلتُ أجر خيبة أملي، ذهبت ولا أعلم إلى أين تأخذني قدماي ..

أسير في شوارع الدقي بدون تحديد وجهة معينة، انتابني شعور أنني أريد الهروب أو الاختفاء إلى الأبد، لا أعلم السبب الحقيقي وراء حزني، هل كنت انتظر لقاء حار اكثر!

هل توقعت مبرر أقوى، أم كنت انتظر منه اعتذار وندم! أم تأملت في عودة علاقتنا مرة اخرى! أم كلمة أصدقاء التي قالها صدمتني! لست أدري؟

ظهرت وسام أمامي فجأة من العدم، لم انتبه لها إلا عندما أمسكت يدي فجأة وأستوقفتني على إحدى جانبي الطريق، كانت لمستها لي تمثل القشة التي قسمت ظهر البعير، فاض بي ما حاولت كتمانه بداخل قلبي منذ خروجي من المقهى، انهالت من عيني أنهار من الدموع وأنا احتضن وسام التي ارسلها إلي القدر في الوقت المناسب..

- **أنتِ بتعملي أيه هنا يا وسام؟**

- **انا كنت في الجامعة و حسن كلمني قالي اجيلك؟**
- **تجيلي ليه! هو قالك إيه بالظبط؟**

- **سما أنا عارفة كل حاجة هو كلمني قبل ما يتصل بيكِ**

- **أنا أسفة بجد يا وسام إني مقولتلكيش؛ مكنتش عايزة اشغلك بالحوارات دِ تاني.**

- **عادي يا بنتي مش زعلانة، المهم أنتِ كويسة**

- الحمد لله دلوقتي أحسن شوية، طيب مدام أنتِ كلمتيه قوليلي رأيك ايه في كلامه.

- بصراحة أنا قلت له بلاش يكلمك أصلا، بس هو مسمعش كلامي

- ليه قولتي له كدَ!

- عشان دَ الصح، هو هيتعبك تاني، أنتِ مش شايفة شكلك دلوقتي عامل إزاي، دَ بالظبط إللي أنا كنت خايفة منه

- متقلقيش أنا كويسة واللهِ، وهبقى أحسن لما أروح وأهدى كمان

ما أسهل إتخاذ القرار الصائب عندما لا يتعلق الأمر بك، أحيانًا لا افهم أصدقائي كيف لا يشعرون بي لهذه الدرجة!

مصلحتي من وجهة نظرهم تتعارض تمامًا مع ما أشعر به واريده أنا، لا أحد يفهمني ولا أحد يحاول، أنا أعشق حسن وأتقبل منه كل شيء، أتحمل وجع قلبي منه ما دمت معه، قلبي يطمئن بوجوده، روحي تتراقص عندما ينظر إلي أو ينطق إسمي، مجرد ابتسامة منه تجعلني أتنفس، حبي له يملأ كياني، نظراته احتواء ولمسته احتواء، فأنا لم أشعر أنني على قيد الحياة سوى بجواره....

الفصل السادس

مرت ساعة أو أكثر ووسام تحاول إقناعي بالبعدِ عن حسن، وعن أي طريق قد يعرض قلبي للأذى من جديد، كلماتها خالية مِنَ المشاعر، خالية مِن الشفقةِ والرأفة، كلماتها واقعية، وعقلانية كما لو كانت بدون قلب!

أردت اسكاتها بأي طريقة ممكنة ولم أتمكن، بعد ذلك انتقلت بالحديث لكريم وعن بروده معها، واختفاءه الغريب، تشتكي غربتها في المحاضرات وفي الجامعة بدونه، بعدما تعودت على وجوده واتصالاته التي لا تنقطع مهما كانت حالته او ظروفه ..

لم استطيع مجاراة كلامها أو مواساتها بالشكل المناسب، أعرف تمامًا ما تتحدث عنه، وأدرك أن شعورها صحيح ولها كل الحق فيه، أعرف أنه يتهرب منها ويتحاشى لقائها، ولا يرد على اتصالاتها، و لكن لم يكن لدي طاقة للنطق بكلمة واحدة ..

شيء بداخلي يريد لفت انتباهها للسبب الرئيسي لبُعد كريم عنها، ولكن منعت نفسي بصعوبة، وفعلت كما أراد كريم، ولم أخبر أحدًا بكلامنا، لعل بروده معها، وغيابه يشعرها بأهميته، ويغير من مشاعرها تجاهه، لعلها تدرك أن كريم أفضل مِن أن يكون مهمش، أو مجرد صديق، وإن من الصعب العثور على شخص مثله مرةً أخرى ..

استمعت لوسام حتى أنهت حديثها، هدأت قليلًا من ضجرها، واخبرتها أن هذه الفترة ستمضي، وسيرجع كريم لسابق عهده معها، أنا واثقة، ولكنها مسألة وقت لا أكثر؛ فالحياة قادرة على قلب موازين الأمور كلها في لحظة، التغيير هو القاعدة الواحدة الثابتة في هذه الدنيا..

****

١٢ أبريل 2014

لم أتخيل أبدًا أنني سأكتب في مذكراتي أنني سعيدة لهذه الدرجة، اليوم كنت مع حسن ذهبت للمقهى، وألتقينا هناك، أجمل أيام حياتي تكون بجواره لم أكتفي ولن أكتفي منه أبدًا، أستطيع الجلوس معه والتحدث، أو حتى السكوت والنظر إليه فقط طوال عمري ..

أخذ ورقة من دفتري ورسم لي شقة مكونه من: غرفتين، وحمام، ومطبخ و صالة صغيرة، تأملته وهو يشرح تفاصيل ما ستكون يومًا ما شقتنا كما قال هو، رغم معرفته برفضي لفكرة الزواج في هذه الفترة إلا أنه لم ييأس ولم يتغير شغفه، وحبه لي، تيقنت اليوم للمرة المليون من حبه، وتمسكه بي ..

أراد أخذ رأيي في تعديلات ستجرى في الشقة، نظراته الجدية وهو يشرح لي أدق تفاصيل الشقة؛ أذابت قلبي، وابتسامة الرضا التي تزين وجهه كلما وافقته الرأي كانت قاتلة، كنت أغلق عيني

بخوف وأتمنى ألا يكون هذا حلم جميل وسينتهي، وعندما أعيد فتح عيناي وأراه بجواري مبتسمًا بدفء أطمئن، لست أحلم ..

انتهى من رسم الشقة و الحديث عنها ثم احتضن يدي بكفة يده، وتأمل وجهي بنظرات حب و رغبة، قرب يدي من شفتاه وطبع قبلة رقيقة في راحة يدي، اتسعت عيناي وسرت في جسدي رعشة عجيبة، حلقت روحي في السماء كطير سجين تم إطلاق سراحه لأول مرة، فحلّق سعيدًا غير مكترث لأي شيء ..

شعرت بالراحة والأمان كما لم أشعر من قبل، لقد عوضني القدر عن كل لحظة وحدة شعرت بها عندما أتى لي بحسن، شعرت أني أنتمي إليه، لم تعد كلمات الحب كافية لوصف شعوري نحوه؛ هو موطني الآمن ومسكني الوحيد ..

****

25 أكتوبر 2016

مر يومين منذ لقائي بحسن، لم أغادر غرفتي إلا لتحضير وجبات الطعام وإسكات صوت صرخات معدتي الفارغة، لم أتخذ قرار بخصوص حسن، في جميع الأحوال سأتألم، إن أردت البعد عنه بعد معرفة أسباب غيابه، و إن أردت الرجوع إليه فقط كأصدقاء، في كلتا الحالتين الوضع سيصبح مؤذي، ولكن إن كان لابد من الوجع لا محالة؛ لأتألم بجوار حسن ..

بعد مكالمات من رنا و وسام يطلبون مني الخروج، والذهاب للمقهى معهم لم أوافق فليس لدي أدنى طاقة للنزولِ، ومواجهة العالم بالخارج؛ قررا يائسين المجيء إلى منزلي ..

أخبرت رنا بما حدث وشرحت أسباب حسن و مبرراته في اختصار إجابتني بكلام صحيح من وجهة نظرها، ولكنه غير مناسب لي خصوصًا في الوقت الحالي، تريد ابتعادي عنه وقطع جميع سبل الوصال بيني وبينه، ترى أن نسيانه والتخطي هو الحل، ولأني لم أملك طاقة للكلام والنقاش؛ كان علي تقبل كلام رنا ووسام والاستماع إليه، وإن كان يسيء من حالتي أكثر ..

بدا لي كلامهم ككلام طبيبٍ يصف علاج شديد المرارة لمريضه دون الشعور بألمه، ودون الاكتراث بمذاق العلاج، قد يكون العلاج شافي ولكن المذاق لا يحتمل وكذلك الألم، ارحت جسدي على السرير ورحت انظر إليهم وهم يتحدثون ويقدمون لي النصائح ولم أنطق!

- **سيبك من سما بقى شكلها نامت مننا أصلا، وقولي لي عاملة إيه مع مصطفى؟**

- **كويسين واللهِ مفيش جديد، كل واحد عايش حياته تمام**
- **أنتِ مبسوطة يا رنا؟**

- تاني يا وسام ما بلاش كلام يضايق، يا ستي أنا مش مبسوطة أوي يعني بس مش عايزه اسيبه.

- هو أنا لسه قلت حاجة يا بنتي، إللي على رأسه بطحة صحيح

أدركت ما سيؤول إليه الحديث؛ فأسرعت بتغيير مجرى الحديث لموضوع مختلف هربًا من أي خلافات، استمر حديثنا بالتنقل من موضوع لآخر وأخيرًا بدأت جلستنا في الابتهاج قليلًا، واصبحنا نضحك بدون سبب على أتفه الكلمات والمواقف، جميعنا نكابر ونضحك من كثرة ما نفكر فيه، كنا ندرك أنه لو سكتت إحدانا لحظة؛ لكانت انهارت شلالات من البكاء ..

تأخر الوقت فغادرتنا وسام و بقيت معي رنا، بداخل عينياها تحاول اخفاء الكثير، وأعلم جيدًا أنها انتظرت مغادرة وسام عن قصد؛ لتتحدث معي على انفراد، وكان لها ما تريد سألتها عما يشغل بالها، ومن هنا بدأت في الكلام دون توقف ..

- أنا مش مرتاحة مع مصطفى يا سما، وسام عندها حق في كل كلمة بتقولها دِ مكانتش أول مرة اشوفه مع بنت واتخانق معاه، أنا بحب مصطفى وهو كمان بيحبني، أنا عارفة بس إحنا مش لايقين على بعض مش شبه بعض خالص، بكتشف عنه حاجات كتير بالصدفة بيكون مخبيها عليا وبتخانق معاه، مع إني

من جوايا متضايقة من نفسي؛ عشان أنا بخبي عليه كتير برضه، ما أنتِ عارفة

- أيوة عارفة للأسف، وأنا مش عاجبني كدَ

- ولا بقى عاجبني أنا كمان، بس أحسن من الخناق إللي هيحصل لو عرف إني بتكلم مع ولاد و بخرج و كدَ، حتى لو أصحاب بس واللهِ هو مش بيفرّق ..

- طب وبعدين يا رنا أنتِ مش عاجبك الوضع دَ بس في نفس الوقت مش بتحاولي تغيري حاجة!

- أنا مش عارفة أنا عايزه إيه؟

- أنتِ عارفة كويس أيه الصح؛ والمفروض تعملي أيه، بذمتك مش وحشك إنك تبقي براحتك، ومش حاسة إنك مخبية حاجة عن حد شخصيتك الحقيقية، وانطلاقك وجنونك مش وحشينك؟

- بس أنا خايفة اسيبه؛ فأندم

- على إيه! للأسف يا رنا مش كل الناس إللي بنحبها نقدر نعيش ونكمل معاها حياتنا، أحنا ممكن نحب ناس جدًا بس نبقى مختلفين عن بعض في كل حاجة، أنتِ ممكن تندمي لو أنتِ مرتاحة معاه بس أنتِ مش مرتاحة، بجد أنتِ متستهليش تنطفي جنبه، وعمرك يضيع عشان خايفة تسيبيه احسن تندمي!

- أنا بحبه

- دِ الحاجة الوحيدة إللي مقدرش ألومك عليها، بس فكري هو يستاهل دَ كله!

حبك ليه يستحق قلة الراحة إللي أنتِ فيها ولا لا، وقرري هتعملي أيه؛ وأنا معاكِ في أي حاجة هتعمليها

- ربنا ميحرمنيش منك واللهِ أنا عارفة، أنا صدعتك بالكلام بس حسيتك بقيتي كويسة فقلت أطلّع إللي في قلبي شوية معاكِ بقى، يلا همشي أنا

****

و لكني تعبت، تعبت ونفذت طاقتي المسكينة بعد محاولاتٍ مستميتة مني للمقاومة، تعبت من طريق الرحلة قبل الوصول! ولم تكن يومًا شكوتي كثرة المعاناة والألم فقد اعتاد قلبي الهم، واعتاد جسدي التعب، اعتدتُ تلك الغصة الساكنة بحلقي، حتى أنني لم أجد يومًا في الانتظار مشقة؛ لأنني اثق بأني سألقى يومًا

جزاء صبري، إنما اشكو عندما أجد أن تضحياتي لم تقدر، أو حين يظن في سوء؛ فأقف مكبلة الأيدي أتلقى لوم بدلًا من شكر!

عندما أساند الجميع وحين أميل لا أجد أحدًا بجانبي فأسقط وحدي، وأجد نفسي وحيدة رغم قربي من الجميع، عندما أتوقف لحظة وأختفي لأعرف من سيلاحظ غيابي ويصدمني الجميع بالرحيل، تاركين خلفهم حطام آمالي المتعلقة بهم ..

لستُ بخير أبدًا: وجهي شاحب، وطاقتي منخفضة عن المعتاد، عيني تصرخ، وتطلب النجدة وهي لا تراني! لا أدري كيف رأت أنني بخير!!

أنا أجيد التظاهر، وتمثيل أنني بخير، أجيد سرد الآمي بوجهٍ مبتسم وساخر ولكنها أقرب صديقة لي، يجب أن تفهم ضعف حيلتي، وتدهور حالتي، يجب أن تعرف مقدار معاناتي؛ وتخفف عني ألم نفسي، أنا أنهار أمامها وهي ليست مدركة.

منذ كنت طفلة وأنا أنعزل، وأنطوي بداخل غرفتي، وأبتعد عن الجميع، لم أشعر يومًا أنني في المكان الصحيح، أستطيع بامتياز إخفاء حزني ولكني أفشل في تجاوزه، مرت سنين طويلة، ولم يتغير شيء، فقط عمري تضاعف، ولكني ما زلت تلك الطفلة الوحيدة ..

أصبحت قادرة على التحكم بثباتي الانفعالي، وتعابير وجهي، ربما خوف من الاقتراب من أحد أو مراعاة لمن حولي، لا يوجد فرق كبير فالنتيجة واحدة، أخشي الوثوق بأحد بشكلٍ كامل، وأخشى على الآخرين من كآبتي، أخشي عليهم من نفسي، وأخاف اللجوء لشخصٍ ما في أحد لحظات ضعفي وانكساري ثم يخيب ظني ..

ربما العيب ليس في رنا، أنا من أمسك يدها دائمًا حزينة كانت او سعيدة، أنا بئر أسرارها، والحضن الذي تلجأ إليه، وجودي بجانبها إجباري حين تريده أو تحتاج اليه وكتفي متاح دومًا لتستند عليه، إن احزنتها الحياة يومًا؛ أسعى لإسعادها مهما كنت محطمة، أتمالك نفسي لأجلها، أنا من أضحي وأنتظر التقدير، ربما أنا أكثر من يفهمها، ولكنها لم تفهمني يومًا، ولم تحاول حتى!

الفصل السابع

٢٩ أكتوبر 2016

تتوالى الأيام و لا جديد، نفس أحاديث البنات المعتادة، ولا شيء يتغير في حياتي سوى رسائل ومكالمات حسن التي تتزايد مع مرور الوقت، أصبح يومي يبدأ باتصال منه وينتهي برسالة يتمني لي فيها أحلام سعيدة، لم استطع صدّه وهو يدرك ذلك جيدًا فلا ينتظر مني المبادرة في الكلام، يبدأ هو دائمًا ويسأل عن حالي ويحكي لي عن أحواله ..

لم أتمكن من وضع مسافة بيننا، لكنني رفضت مقابلته من جديد خلال هذه الفترة، ولم يعترض بل عذر موقفي للغاية وأصبح كلامه معي أكثر تفهم واحتواء، نتحدث في كل شيء، وأي شيء دون توقف، حاولت في الاتصال الأخير جمع ما لدي من شجاعة و قوة وسألته مرة أخرى بطريقة مباشرة: لماذا عُدت؟

لماذا عُدت إلي! أجابني فقط أنه شعر بحاجته إلي، يومه بغيض بدوني، حياته غير مكتملة وأنا لست بها!

بعد خمسة أشهر بدأ يشعر بغيابي! بعد مرور ما يقرب من مئة و خمسون ليلة بدوني!

ممزقة أنا وتائهة بين اشتياقي إليه، وبين رجوعه البارد، مثل الخيوط المتشابكة والمعقدة مشاعري، وقف قلبي يتخبط بين هذه الأحاسي تجاهه، كيف أشعر بالشيء و نقيضه في نفس الوقت!

جزء مني يشتاق إليه بشدة وجزء يريد هجره، جزء مازال متمسك بالأمل في علاقتنا وجزء استسلم تمامًا! تمنيت لو ارتميت في حضنه والبكاء وتمنيت لو أهرب بعيدًا حيث لا يستطيع العثور علي، اريد الشعور بحرارة جسده بقربي، وتنفس رائحة عطره، ولكن تذكر شعوري حين يقترب مني يؤلمني، هل راحتي في الابتعاد عنه، أم لازال هو مأمني الوحيد؟

كنت معه حرة طليقة كمهرة تجري في سبقٍ هكذا كنت أشعر أو الأصح هكذا كنت أتمنى، كان حبي له يقيد معصمي ويبتر جزءً من روحي كل ليلة، كان يقتلني بالتصوير البطيء مع مرور الوقت، حبه أكل عظامي كمرض خبيث وتفشى بدمائي كالسم، حاول عقلي مرارًا التملص من حبه، ولكن لا حياة لمن تنادي، وفي كل مرة حاولت الخروج من بحر رماله المتحركة كنت أغرق في عشقه أكثر، أسيرته أنا: مكبلة الأيدي، ومكممة الفم أمامه، ولكن ما زلت أشعر بالحرية! كيف له أن يكون يقيني الوحيد بينما أنا مشتتة لهذا الحد!!

****

كعادتي حاولت الهروب من تزاحم الأفكار بداخلي، ذهبت للجامعة عسى أن أشغل تفكيري بشيء آخر، ولكن لا فائدة فخطواتي في طرقات الحرم الجامعي تذكرني بحسن، أراه في كل مكان حولي،

أتذكر مزاحه ورائحته وحديثه، أتذكر انتظاره لي بعد الإمتحانات وابتسامته ومقولته الشهيرة: "خلصنا من مادة عقبال إللي بعدها"، أتذكر إحضاره *لشوكولاتة* من نوعي المفضل بعد أي خلاف بسيط يحدث بيننا لكي ينال رضاي، كم أريد نسيان هذه التفاصيل، لقد أردت الهروب منه فهربت إليه، ذهبت لأكثر مكان تجتمع فيه ذكرياتنا معًا، كيف اتخطاه وأنا استنشق هواء ذكرياتنا في كل مكان أذهب إليه ..

التقيت بكريم صدفة عند أكبر شجرة أثرية في جامعة القاهرة تقريبًا، ليس هناك طالب في الجامعة لا يعرف هذه الشجرة، لقد مر بها أجيال كثيرة، وشهدت على الكثير من الذكريات على مر السنين، وجميعنا لديه ذكريات معها بطبيعة الحال ..

لا أستطيع نسيان ذلك الشاب الذي أغرته شجاعته، وحاول التعدي عليها و تسلق فروعها المتشابكة، فسقط على الأرض مغشيًا عليه، وظل على هذه الحالة ثلاث دقائق، أو أكثر ثم افاق وقال بالنص: "شجرة قديمة بس قوية يخرب بيتك"، وضحك، ثم أصيب جميع أصدقائه من حوله بموجة ضحك هستيرية ..

جلست بجانبه على أحد السلالم، ورحت أتأمل تعابير وجهه، أحاول فهم حالته، وما يجول برأسه السميك، سألته عن اخباره مع نهى التي يتجنب الكلام عنها معي، لم يخبرني بتفاصيل فقط أكتفى ببضع كلمات مبهمة لم أفهم منها إن كان سعيد ومرتاح

أم لا! ضغطت على يده المتألمة وأستفسرت منه عن طبيعة علاقته بوسام هذه الفترة، وكما توقعت تمامًا لم يكن لديه علم بشيء:

- كريم أنت مش عارف وسام متضايقة إزاى وأنت مش معاها
- متضايقة! مش باين

- أنت إللي بتهرب منها فمش واخد بالك، صدقني هي إتكلمت معايا واشتكت من طريقتك وبُعدك عنها
- طيب ما تقولي أنا! مش المفروض أننا قريبين من بعض، خلاص تبعت رسالة تقولي إني وحشتها بدل ما هي بتبعت عامل أيه وسمايل فيس بارد كدَ

- هتقولك وحشتني وأنت مرتبط!

تفتكر وسام ممكن تعمل كدَ!

- لو مأثر فيها أوي زي ما بتقولي، وحست إنها عايزاني بجد هتقول من غير تفكير، مش هتهتم بعلاقتي بواحدة هي متعرفهاش أصلًا عشان تعملها حساب

- أنت عايزها تعمل إللي أنت مقدرتش تعمله يا كريم، أنا رأيي فكر تشوفها وتتكلم معاها بدل البرود إللي بقى بينكم دَ، أنا خايفة تلاقوا نفسكم أغراب عن بعض بعد ما كنتم أقرب أتنين لبعض.

ربما كريم شخص حنون وعاقل، ولكن الإنسان طاقة، ولكل شخص حدود معينة بعدها قد يغيره القدر تمامًا، أنا مؤمنة أن المبادئ قد تنهار أمام ضعف مشاعرنا، ولجميعنا بالتأكيد نقاط ضعف ..

ليس من الصعب على الإنسان أن يتبدل حاله عندما يتحمل أكثر من طاقته، لطالما كان كريم لا يسمح لوسام بالحزن أو التشتت والتفكير بشيء يزعجها، أما الآن فهو يفعل هذا عن عمد، يتركها تتعذب مع أفكارها ووحدتها، ربما فاض به، ربما يريدها أن تشعر بما سكن قلبه شهور عديدة ولم يحرك لها ساكن، لعلها تفهم إنه لم يكن سهل أبدًا إخفاء مشاعره تجاهها، ولم يكن سهل عليه تقبل معاملتها له، أو ربما يتأمل أن تشعر به وتحبه أو ربما يريد شيء أخر يكنه بداخله ولا يعرفه أحد!

****

لم يكن هناك فرق كبير بين وجودي في: المنزل، الجامعة، الشارع.

لم تكن المشكلة أبدًا في المكان المحيط بي، بل الأزمة الحقيقية بداخلي، تتحرك معي أينما ذهبت، ملتصقه بجسدي تنهش خلايا عقلي وتدمر محتوياته وتهدم جدران قلبي بدون رحمة ..

لا مجال للنجاة، وكيف أنجو من حربٍ قامت بيني وبين نفسي، بين قلبي وعقلي!

ذهبت للمنزل أجر في يأس بقايا أشلاء عقلي المتهالك، أغلقت باب غرفتي ثم جلست أتنفس بعمق رائحة القهوة من الفنجان الموضوع أمامي على المكتب، كالمدمن يتعاطى جرعة الهيروين خاصته!

ارتشفت منه رشفة صغيرة مستمتعة بمذاق النعيم في كل قطرة تذوب في فمي، ثم أمسكت مذكراتي أتصفح أوراقها وأبحث فيها عن حسن القديم، حسن الذي عرف كيف يجعل قلبي مطمئن ومستسلم له تمامًا خلال أسابيع قليلة، ربما أجاد الحل والجواب لكل تساؤلاتي، ربما أجاد ما يجعلني أطمئن من جديد، أو ما يجعلني أفقد إيماني بعلاقتنا للأبد، ربما أجد بين السطور ما يفسر تذبذبي الآن ويضع حد لتقلب حالي، ويجعلني أستقر على قرار في علاقتي *بحسن* ..

****

24 أبريل 2014

سجل يا تاريخ ولأول مرة بعد إلحاح شديد من حسن خرجت معه في رحلة بمفردنا، و رغم ارتباكِ وخوفي من فكرة السفر معه، إلا أن أرتفاع هيرمون *الأدرينالين* جعلني استمتعت كما لم استمتع من قبل، لقد أحببت هواء العين السخنة اليوم أكثر من أي مرة سابقة، رأيت البحر والسماء بعين مختلفة، كنت كطفلة خالية من الهموم تتراقص في سعادة، وتلهو وتلعب في الرمال بعفوية، وكعروس بحر تمايلت مع الأمواج الدافئة، الرمال الناعمة داعبت قدمي وراحت أمواج البحر تتسلل إليها في خجل ..

رُسمت خطوات أقدامنا على رمال الشاطئ، كانت عيناه تحتويني ويداه تحتضن يدي كالذي يمسك بطفل حديث الولادة يخشى عليه حتى من الهواء و يربت عليه في رقةٍ وحنان ..

ترجلنا في ذلك الممشى الطويل وسط أمواج البحر الهادئة، وعلى طرفه جلسنا نتأمل البحر الواسع بعيون هائمة، وكأن البشر اختفوا جميعًا ولم يبقى سوانا في هذه الدنيا، أقترب مني حسن واحتضن يدي بين يده، ثم مال تجاهي لتلامس شفتاه جبيني وتطبع قبلة خفيفة عليها، أقسم أن الحمم الملتهبة كانت تتطاير من وجنتي حينها، ذابت جميع: مخاوفي، أحزاني، وحدتي، غربة نفسي، وولدت من جديد بين يديه.

جلسنا على الرمال نتأمل منظر غروب الشمس، حين أبتلع البحر قرص الشمس المتوهج بداخله، انعكست أشعة الشمس الذهبية على وجهي بجانب حسن؛ فأخذت عيناه تتغزل بي في صمت، تجرأت وأغمضت عيني وأسندت رأسي على كتفه العريض؛ فأحاطني بذراعه، راح صدري يعلو ويهبط سريعًا في توتر شعرت بدقات قلبه، وحرارة جسده القريب مني، ارتعشت فجأة لا أدري إن كان السبب قرب حسن مني لهذه الدرجة، أم الهواء البارد القادم من البحر بعد الغروب ..

- عمري ما كنت أتخيل ان ملاك زيك يحبني، أنتِ جيتِ غيرتِ فيا كل حاجة، خليتِ لحياتي قيمة ومعني بعد ما كنت حاسس إني تائه في الدنيا وعايش من غير هدف دلوقتي أنا عارف أنا عايز من الدنيا إيه، انا عايزك

- أنا بحبك أوي يا حسن، أنا كمان كنت حاسة إني وحيدة وغريبة، محدش كان فاهمني لحد ما لقيتك

- أنا بموت فيكِ

- متبعدش عني يا حسن مهما حصل بينا

- إني أسيبك دَ مش أوبشن متخافيش، أوعدك عمري ما هبعد عنك.

استغرقت في النوم على كتف حسن في طريق العودة، ولم أشعر بالوقت، نمت في أمان وراحة غابت عني سنين طويلة، عندما اقتربنا من الوصول لميدان الجيزة شعرت بيده على خدي تداعبه برقه؛ لتوقظني، فتحت عيناي ببطء وكسل ورأيته مبتسمًا، ينظر إلي في هُيام مستندًا بمؤخرة رأسه على ظهر المقعد، رفعت رأسي وابتسمت له بدوري؛ فاقترب من أذني وهمس في هدوء:

- حلوة أوي وأنتِ نايمة

لم يكن حلم أو خيال خلقه عقلي الباطن، بل حقيقة عشتها بكل جوارحي اليوم، حقيقة حبه لي ورغبته بوجودي، حقيقة وجود شخص يفهم صمتيوكلامي ويقدرني بمثله

لم يرغب حسن في إنهاء هذا اليوم الجميل فظل معي حتى وصلت للمنزل، ثم ذهب بعد تردد دام لأكثر من نصف ساعة، لو ترك الأمر لي لما تركته يذهب ويرحل عني للحظة واحدة، ولكن يومًا ما وفي الوقت المناسب عندما يشاء القدر سأكون معه وحينها؛ لن اتركه أبدًا.

أغلقت مذكراتي وأغمضت عيني استحضر في خيالي كل لحظة في هذه الرحلة، شعرت ببرودة هواء البحر وبأنفاس *حسن* بقربي، كدت أشعر بالرمال من تحت قدماي، تساقطت الدموع من عيني وأنا أتذكر كلامه واحتوائه ومدي تصديقي له وسعادتي به ، آمنت به وكأنه أخِر أمل لي على الأرض، لو أنني لم أتعلق به لهذه الدرجة لما تألمت في غيابه، ولما تأثرت برجوعه أيضًا، قطع حبل أفكاري وخيالاتي اهتزاز هاتفي المحمول؛ فنظرت للرسالة الواردة من وسام:

"أنا زهقانة جدًا ومخنوقة بجد، تعالي نطلع رحلة نغير جو، أنا بعتلك تفاصيل كذا رحلة هتطلع الفترة دِ أختاري منهم أي حاجة."

للحظة شعرت أنها ليست محض رسالة من وسام، بل هي رسالة أرسلها القدر لي؛ ليعطيني فرصة أخرى لخلق ذكريات جديدة تمحو الماضي، لا شيء يحدث صدفة، ولا شيء يحدث بدون سبب، ربما أتت هذه الرسالة في وقتها تمامًا.

ربما حان الوقت لأتقبل أنا أيضًا التغيير وأحاول الخروج من ظلامي وعيش لحظات جديدة تنسيني جرحي السابق، الهروب من هموم الواقع و تفريغ العقل من كل شيء يشغله، هذا بالضبط ما أحتاج إليه الآن، لا بأس ببعض المرح والاستمتاع، لا بأس ببعض السعادة.

ألا يستحق قلبي السعادة!!!

الفصل الثامن

30 أكتوبر 2016

كان الهواء المنعش يتسلل من نافذة غرفتي يستدرج مشاعري، ويغريني للخروج؛ فاتصلت بالفتيات واتفقنا على الذهاب للمقهى، والتقينا جميعًا هناك مع غروب الشمس، بدأنا الحديث سريعًا بعدما قمنا بطلب مشروباتنا المختلفة كشخصياتنا من قهوة وكابتشينو ولاتيه، كانت جميع المشروبات ساخنة تتناسب مع الجو البارد في الشوارع مع بداية فصل الشتاء، كان الحماس واضح جدًا في حديثنا عندما جاءت سيرة الرحلة، لم نأخذ الكثير من الوقت في إقناع رنا التي كانت في أشد الحاجة للتغيير، قمنا بعمل بحث سريع في جميع الرحلات القادمة في الجامعة؛ لنجد واحدة تناسب رغباتنا وأوقاتنا جميعًا.

رحلة للإسكندرية لمدة يوم واحد والمشرف عليها هي إحدى إسر كلية تجارة غير المشترك فيها كريم ، من لا يعشق الإسكندرية وبحرها ورمالها الذهبية في هذا الوقت من العام! لم يمر الكثير من الوقت حتى قمنا بالاتصال وحجز أماكننا بالرحلة.

لم يقترح أحد أن نخبر مصطفى وكريم وكأننا أردنا أن تكون هذه الرحلة للاستجمام والراحة، أردنا الهروب وترك كل شيء خلفنا، وأن تصبح هذه الرحلة رحلة للفتيات فقط، وكأننا اتفقنا على هذا سرًا دون أن نتفق.

كالأطفال تعالت أصواتنا وانفعالاتنا ونحن نخطط لما سنحضره للرحلة من: طعام، وملابس، ومستحضرات تجميل، وأي شيء قد نحتاج إليه هناك

أستغرق البحث والحديث عن الرحلة مدة ساعة تقريبًا، بعدها إنحرف حديثنا لا إراديًا لكريم حيث أرادت وسام الوصول إليه، ولقاءه عدة مرات ولكن بلا جدوى، بعدما شعرت إنه لم يكن مجرد صديق بل أكثر.

- عارفين دِ أول مرة أحس إن حياتي مملة، وسخيفة كدَ، أيوة بنزل الجامعة، وأخرج ومبسوطة وكل حاجة، بس مفتقدة أوي إني أتكلم وأرغي مع كريم، كنت بعرف كل أخباره وبحكيله على تفاصيل يومي كلها، ودايمًا بنكون مع بعض في الجامعة، مكانش بيزهق مني، معرفش أيه إللي حصله فجأة كدَ، ليه يبعد عني بالشكل دَ بعد ما يرتبط!

نظرت لرنا أستنجد بها لتتدخل خوفًا من الوقوع في خطأ بالكلام إذا تكلمت واستجابت لرغبتي وتكلمت بالفعل، ولكن كلامها لم يرضي وسام!

أخبرتها أنها ستعتاد بُعده وإن هذه الفترة سخيفة فقط؛ لأنها البداية ولكن هذه سنة الحياة والفراق آتٍ لا محالة، خصوصًا اذا كان صديقك شاب

لو كنت مكان رنا لأخبرت وسام بنفس الكلام، رنا ليس لديها علم بمشاعر كريم، وحدي أعلم هذا وأخفيته دائمًا، هي ليست مدركة

أن كلامها الآن قد يكون غير مناسب على الإطلاق، أسرعت بالكلام بدون تفكير؛ لمحاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الموقف.

- وسام حبيبتي أنتِ عارفة كريم كويس، أكيد هيرجع يتكلم معاكِ بس محتاج وقت شوية يشوف حياته برضه، وكل حاجة هترجع لطبيعتها، هو بيحبك وميقدرش يستغنى عنك أنتِ عارفة، ولو متضايقة أوي ممكن.....

فجأة ظهرت علامات الاندهاش على ملامح رنا وهي تنظر إلي، وقطعت كلام وسام سريعًا وهي تعقد حاجبيها في تعجب، وعلامات الإستفهام تكاد تظهر في الهواء تمامًا فوق رأسها:

- بيحبني إزاي يعني!

- لا عادي بيحبك وبيحبنا كلنا أقصد إنه قريب مننا يعني، مش قصدي حاجة، المهم أنتِ لو متضايقة أوي من غيابه ممكن تقولي له إنه فارق معاكِ أو قولي له إنه وحشك

- فيه أيه! أنتِ كلامك غريب كدَ ليه يا سما! هو أنتِ متعرفينيش يعني، أنا أكيد مش هعمل كدَ!

- ليه متعمليش مش لسه بتقولي إن حياتك وحشة من غيره، ما دام مفتقداه أوي كدَ بتكابري ليه!

- مش بكابر بس لو مش واخدة بالك هو إرتبط حاليًا، يعني أنا زمان مكنتش بقول الكلام دَ، هاجي أقوله دلوقتي!

- واللهِ أنا لو منك هطلع إللي جوايا، وهقول إللي أنا حاساه وإللي يحصل يحصل.

أنقذت نفسي في اللحظة الاخيرة بأعجوبة من خطأ كدت أقترفه بذلّة لساني وساعدتني رنا غير مدركة حين ابتسمت، وأيدت رأيي المجنون بشدة و تفاعلت معه، وراحت تتخيل بطريقة طفولية رد فعل كريم عندما تقول له وسام أنها تفتقده، تناسب قولي تمامًا مع شخصية رنا العفوية.

لكن لم يتناسب مع رجاحة عقل وسام التي رحلت عنا بعيدًا، عيناها تنظر إلي ولكنها لا تراني بل هي في عالم آخر حيث يوجد كريم، لم استطيع فهم ما يجول في خاطرها، ورغم ارتباكِ، ولكني كنت أشعر بالراحة لأني على الأقل حاولت إدخال هذه الفكرة في رأسها، أنا فعلت ما يمليه عليا قلبي، والآن الأمر متروك لها وللقدر.

رن هاتفي الموضوع أمامي على الطاولة مُعلن عن أسم *حسن* على شاشته بدون خجل، ارتعشت أطرافي وهرب الدم من عروقي، شعرت بأنني تم إمساكِ متلبسة في جريمة ما.

أمسكت الهاتف سريعًا، واغلقت المكالمة، متمنية من كل قلبي ألا يكون أحد قد لاحظ أسم المتصل، نظرت إلي وسام الغارقة في أفكارها، ثم توجهت بعيني لرنا ووجدتها تنظر إلي رافعة أحد حاجبيها، ثم مدت يدها طالبة مني الهاتف:

-هاتي التليفون كدَ أشوف مين إللي كلمك

- من أمتى حد بياخد تليفوني يا رنا؟
- حسن إللي كان بيتصل بكِ صح؟

هبطت وسام لأرض الواقع من جديد، وانتبهت للحديث فورًا بعد سماعها لأسم *حسن*، لم أتوقع اتصاله في هذا الوقت، ولو كنت أعرف لأخفيت الهاتف تمامًا، أو لجعلته على وضع الصامت؛ كي أتجنب هذا الحديث.

- أيوة حسن إللي اتصل بس أنا قفلت عليه خلاص
- و هي دِ أول مرة! متقوليش أه عشان وربنا ما هنصدقك
- لا مش أول مرة، بيتصل بيا من ساعة ما إتقابلنا بس واللهِ

كلام عادي جدًا أغلبه بيحكي عن شغله أصلًا

بدأت أتلعثم في الكلام، وبدأ علي التوتر وأنا أخبرهم بمكالمات حسن ورسائله ولكن باختصار شديد، أردت الاحتفاظ بالتفاصيل الصغيرة لنفسي فقط؛ لإيماني أن ما يحدث بيننا لن يستوعبه أحد، وإن تحدثت لن يفهمني ولن يقدر مشاعري أحد، وأنا في غنى عن أي كلام جارح قد تقوله إحداهم وإن كان بغير عمد، ما إن انتهيت حتى علقت وسام على كلامي معترضة:

- أنتِ شايفة إن إللي بتعملوه دَ صح!

- عارفة إن إللي بعمله مش صح، وأنا مش هفضل كدَ أكيد أنا أصلًا مش بحب الحال المايل، بس أنا محتاجة وقت أقدر أفهم فيه أنا عايزة إيه وأخد قرار، الوضع إللي أنا فيه مش مريحني بس برضه مش سهل أقول للإنسان إللي محبتش غيره في حياتي، مش عايزاك خلاص، دَ أنا كنت بتمنى رجوعه إزاى أقوله مع السلامة بعد ما رجع!

- حسن رجع يتكلم؛ عشان عارف إن حبك متغيرش، ومكانته جواكِ زي ما هي، بلاش تبقي مضمونة يا سما: بكلمة يسيبك، وبكلمة تانية يرجعك، أنتِ إللي هتتعبي صدقيني.

استمر الحديث على هذا المنوال، وأنهينا الكلام بعدما فرغت منا طاقة النقاش والجدال، استخدمنا فيها تقريبًا جميع الكلمات المعروفة في اللغة العربية حتى الآن، بعدها وجدنا الوقت قد تأخر فقمنا بدفع الحساب ثم توجهنا جميعا لمنازلنا.

حُفرت جملة وسام في عقلي، وضعت في برواز أمام عيني ليتأملها عقلي رغمًا عنه، جملة قالتها في غاية البساطة راحت تتردد على مسمعي "بلاش تبقي مضمونة يا سما؛ هتتعبي صدقيني"، سرق التفكير نومي وهرب به بعيدًا، بعدما كنت مستمتعة بتفكيري في الرحلة وانشغالي بها انقلب بي الحال في دقائق معدودة منذ اتصال حسن حتى هذه الجملة

أغلقت هاتفي هاربة من تكرار اتصال حسن، واستلقيت على السرير أحاول النوم، اتقلب باستمرار وقد تحول السرير إلى قطع صخرية متحجرة أسفل ظهري، لم أجد وضع يريح جسدي ويسكن آلام روحي، لم تكن وسام محقة في شيء بقدر ما كانت محقة هذه المرة، حسن قد ضمن وجودي وحبي؛ لذلك عاد، لا فائدة من المماطلة والهروب، لابد من المواجهة، مواجهة نفسي أولًا ثم مواجهة حسن.

هل سأظل على هذه الحالة معه وأرضى بحديثي معه كالأصدقاء!
أم أبتعد و أخرجه من حياتي نهائيًا!

****

يمر يوم ويليه الأخر، وتتوالى الليالي على نفس النمط، وجدت نفسي أعتاد رسائل حسن أكثر؛ أصبحت انتظر سماع صوته كل صباح؛ كي تشرق شمسي و يبدأ يومي، أدمنت حديثه وأنفاسه وبادرت أنا عدة مرات وتحدثت إليه إذا تأخر في الاتصال قليلًا، سقط مني قناع القسوة المزيف فأصبحت ضحكاتي تعلو معه

وتتطاير الفراشات بداخلي، وأشعر بحنين لسماع حكاياته، تتراقص دقات قلبي واستمتع بمعرفة كل تفاصيل يومه وعمله، أصبح يهتم بسماع أخباري ويذكرني بكلمات اعتدنا قولها قديمًا، يلمح من حين لأخر إنه لازال يتذكر ذكرياتنا سويًا، الكثير والكثير من التلميحات ولكننا مازلنا تحت مسمى أصدقاء.

أعرف هذا الشعور جيدًا، ليس بمرور الوقت وتعدد المواقف أبدًا هناك أشخاص نشعر بالإنجذاب والإنتماء إليهم فور معرفتهم،

نشعر باكتمال أرواحنا معهم وأنا أنتمي لحسن، ولكن الإنتماء والإعتياد الذي لطالما كان يسعدني ويطمئن روحي لم يعد كذلك، الألفة التي كانت تسكن قلبي وتربت عليه لم تعد كالسابق، فأصبحت تشعل النيران في صدري وتكتم أنفاسي.

اكتشفت أنني تدريجيًا أسلم نفسي له مرة أخرى حيثُ أعطيه مفاتيح: قلبي، وعقلي وتفكيري ؛ليستغلهم ويستحوذ عليهم من جديد؛ ليسلب مني إرادتي ويتحكم في مشاعري و كياني، ولكن رغم تضارب مشاعري بداخلي همسات واهنة ترفض الوضع الحالي! صوت ينبهني ويذكرني بهواني عليه و يأبى الخضوع له خوفًا من خذلان آخر.

****

3 نوفمبر 2016

لم تنعم عيني بالنوم سوى ساعتين لا أكثر ثم ازعجني صوت المنبه معلنًا أن وقت الاستيقاظ قد حان، استيقظت الساعة الرابعة فجرًا كي ابدأ التحضيرات، فأيقظت رنا و وسام بعد معاناة دامت قرابة ساعة كاملة! حضرت حقيبة الظهر الخاصة بالرحلات وحرصت على أن يكون معي كل شيء قد أحتاج إليه هناك من: طعام، وملابس، وصابونة، ومنشفة، وهكذا....

شربت قهوتي الصباحية قبل الخروج من المنزل؛ حتى أستطيع التركيز وشحن طاقتي لهذا اليوم الطويل ..

التجمع سيكون أمام الباب الرئيسي لجامعة القاهرة الساعة السابعة والنصف صباحًا كما هو الحال دومًا في الرحلات الجامعية، خرجنا من المنزل الساعة السادسة تمامًا كطلاب مدرسة ابتدائية، تجمعنا في أقرب مكان ممكن من منازلنا وذهبنا سويًا لبدء رحلتنا النسائية ..

وصلنا أمام الباب الرئيسي للجامعة قبل الموعد المحدد للانطلاق بخمسة دقائق، ووجدنا أكثر من أربعة أتوبيسات تقف في طابور متتالية أمام البوابة عرفنا أماكننا في الأتوبيس وأدخلنا الحقائب وجلسنا به ثلاثتنا ثم أخبرتهم بقراري وبما قمت به منذ الليلة الماضية:

- أنا إمبارح حطيت رقم حسن في *البلاك لست*، أصل أنا فكرت وحسيت إنى مش عارفة أفكر وهو بيتكلم معايا كل يوم بيضغط عليا ويشتتني حتى وهو بيتكلم كلام عادي، أنا عمّالة أتعلق به ثانيتًا؛ فشوفت إن أنسب حاجة عشان أقدر أقرر هي إني أفصل منه شوية، ومتكلمش خالص معاه وأشوف هحس بأيه، وأنتِ يا وسام لو كلمك متعرفهوش حاجة عني تمام؟

- مفتكرش هيعمل كدَ عشان؛ هو عارف ردي هيبقى إيه، بس تمام ماشي أنا مبسوطة جدًا إنك عملتِ كدَ أصلًا

قالت رنا بعدما استمعت لقراري وتفحصت انفعالات وجهي وهروب عيناي من الالتقاء بأعينهم ..

- إللي عملتيه هو الصح، وأكيد هتعرفي تفكري أحسن وتاخدي القرار إللي فيه مصلحتك بس أهم حاجة دلوقتي نركز في اليوم الحلو دَ وبلاش فصلان من أوله كدَ، أنا عايزه اتبسط وبس.

بدأت الإعدادات تكتمل في الاتوبيسات ثم انطلقنا وبدأ المرح: من أغاني ونكات في الأتوبيس، وتبادل الوجبات والمزاح مع كل المحيطين بنا، غنى أحد الشباب أغنية من أغاني الرحلات المشهورة تسمى "شارع شريف" وأخذنا نردد معه مع الكثير من التصفيق والضحك على تعابير وجهه وطريقة أداءه المسرحي، ثم أحضرت وسام ميكروفون الأتوبيس، وقد غنيت أنا أيضًا بعض الأغاني بناءً على طلب من رنا ووسام، وأيضًا إرضاءً للجميع، وأخيرًا وصلنا للشاطئ بسلام ..

ما إن وصلنا حتى اخترقت رائحة البحر قلبي وأصابتني بسهام تعرف طريقها جيدًا، توجهنا للغرف ؛لتغيير ملابسنا، وترك الحقائب وثم ذهبنا للشاطئ، تنفست الهواء الرطب امام البحر والمحمل بقطرات منه، وأغمضت عيني أستمتع بأشعة الشمس الدافئة وأصوات الأمواج والضحك من حولي، تعالت الأصوات بقربي وأسمعها بعيدة كالنجوم، جلست على الأرض مباشرة غير مكترثة لحبات الرمال التي تعلقت بملابسي وحشرت نفسها في ثناياها، خلعت حذائي ثم غرست قدمي العارية في حبات الرمل الملتهبة من حرارة الشمس، حاولت تصفية ذهني وعدم التفكير في أي شيء، والاستمتاع بهذا المنظر فقط ..

خيل إلي وأنا أتأمل البحر أنني رأيت مصطفى يمر أمامي وهو يتحدث بالهاتف ثم أختفى، بحثت عنه بعيني مرة أخرى لم أجده، تناولنا مشروبات مثلجة ونحن نلهو ونبني قلاع رملية تحيطها الأسوار العالية، والخنادق المليئة بمياه البحر، ثم لعبنا ثلاثتنا كفريق كرة ضد ثلاثة آخرين نعرفهم معرفة سطحية من قبل،

وبعد الهزيمة الساحقة تركناهم ونحن نجر أذيال خيبتنا ورائنا ضاحكين!

تركتنا رنا وذهبت للغرفة ومر أكثر من نصف ساعة، ثم رجعت تجري في إتجاهنا وهي في حالة يرثى لها، تتساقط الدموع من عينيها كالشلال، أنفاسها سريعة، وأطرافها باردة وترتعش بشدة، أحتضنتها في فزغ وجعلتها تجلس بجانبي على المقعد وقدمت وسام لها الماء؛ لتشرب قليلًا منه كي تهدأ، انتظرنا حتى استطاعت أن تتمالك أعصابها، ثم بهدوء حاولتُ أن أفهم منها ماذا حدث:

- في إيه يا رنا إيه إللي حصل!

- مصطفى هنا، أنا شوفته دلوقتي

- أنا حسيت إني شوفته من شوية، بس مكنتش متأكدة! طب أهدي بس مش مستاهلة إللي عاملاه في نفسك دَ

- لا مستاهل أنا شوفته مع واحدة طالع معاها الأوضة ، أنا مش قادرة استوعب لحد دلوقتي إللي حصل، د أنا كنت مكذبة عيني لما شوفته ماسك ايديها على الشط، بس مشيت وراهم وشوفتهم، طلع حيوان وأنا كل دَ مغفلة، بخاف على زعله أوي ومش عايزة اسيبه، دَ حتى وأنا مش معاه عمري ما سمحت لواحد يقولي كلمة حلوة، وهو بيعمل كل دَ!!

فقدت وسام أعصابها، وتكلمت بما لا تريد رنا سماعه في الوقت الحالي، لا أحد في وضع رنا سيتقبل الاستماع للمواعظ أو اللوم أبدًا ..

- قلت لك يا رنا إنه زبالة، والوضع إللي بينكم دَ غلط من زمان جدًا، عمرك ما صدقتي إن كل دَ هييجي على دماغك في يوم من الأيام وأهو حصل أهو

أتفق تمامًا مع كلام وسام؛ أعلم جيدًا إنه شخص كاذب ومنافق، ولكن لم أتوقع منه أن يكون خسيس لهذه الدرجة، لقد تعدى كل حدود توقعاتي وصدمني فيه رغم معرفتي المسبقة به، ولكني أتفهم وضع رنا وشعورها الحالي، صدمتها الكبيرة فيه والخذلان المفاجئ الذي تعرضت له بدون مقدمات، ليس بشيء هين.

الخيانة: ذلك الهبوط المفاجئ للأرض الصلبة تحت قدميك، وانهيار جبال الثقة بداخلك، ذلك الزلزال الذي يعصف بك يمينًا ويسارًا، ويدمر معه كل قواك النفسية، تعددت طرق الخيانة

وأسبابها ولكن لا شك أن أصعب أنواع الخيانة هي التي تصطدم بها وتراها بعينك في وقت لم تتوقعه أبدًا.

تتعلق بشخص وتتغاضى عن عيوبه فقط لأنك تحبه، ولا تنتظر منه شيء سوى التقدير وإلا يجعلك تندم يومًا على هذا الحب، ثم تجده بكل قسوة يخونك ويستبيح ألمك دون شفقة، ما أصعب أن يأتي الجرح من الشخص الذي راهن عليه قلبك!

قدمت لرنا المناديل ورتبت على كتفها وأنا أنظر لوسام نظرة عتاب أريدها أن تتوقف عن لوم رنا وزيادة وجعها، ثم قلت:

- أحمدي ربنا إنك عرفتيه على حقيقته دلوقتي يا رنا، جايز حصل كدَ عشان تشوفي بعينك وتصدقي إنه ميستاهلش تعافري عشانه، مهما كنا قولنا لك مكنتيش هتقتنعي إلا بالطريقة دِ، وكويس إنها جت على قد كدَ يا بنتي، أهدي دلوقتي وبلاش تفكري تكلميه ولا أي حاجة، لما تبقي كويسة أبقي كلميه وطلعي كل إللي جواكِ وسيبيه

- لا أنا كلمته خلاص، لما مشيت وراهم للأوضة مقدرتش أمسك نفسي...

بدأت رنا في سرد ما حدث بالتفصيل: كيف رأت مصطفى بصحبة فتاة ما على الشاطئ وهو ممسك يدها ويتقرب إليها بطريقة حميمية مستفزة، ثم ذهبت ورائهم إلى الغرفة وهي في حالة

ذهول تام، لا تصدق عيناها ما تراه، وعندما أغلق الباب عليهم لم تحتمل أكثر؛ فطرقت الباب عدة طرقات مجنونة وانتظرت حتى فتحه مصطفى، ثم انهارت قواها وانهالت عليه بالسب والضرب بكل قوتها؛ لتخمد النار التي نشبت داخل قلبها بسببه.

أمسكها مصطفى من يدها وأدخلها عنوه إلى الغرفة وأغلق الباب، حاول تبرير موقفه بإرتباك وتوتر وكلمات مشتتة وغير مقنعة، ولكنها لم تسمح له بالكلام لن يستطيع خداعها هذه المرة، أفرغت طاقتها المكبوتة بدون أن تذرف دمعه واحدة أمامه، توجهت للفتاة ترمقها بنظرة إحتقار ثم نظرت لمصطفي وأخبرته: أنه خيب ظنها، وأنها لا تريده في حياتها بعد الآن، وإن صادف يومًا و رأته في أي مكان لن تنظر إلى وجهه.

انفجرت أسارير وسام مع سماع هذه الكلمات واحتضنت رنا وهي تقول كلمات مشجعة، نظرت لرنا بابتسامة خفيفة على وجهي، تعجبت من شجاعتها وقدرتها على رد اعتبارها بسرعة رغم ألمها.

رن هاتفي مع وصول مكالمة واردة من مصطفى، أمسكتُ الهاتف لا أدري هل أرد عليه وألعنه وألقنه درسًا في الأخلاق والرجولة، وأشفي غليل قلبي منه أنا أيضًا لما فعله برنا، أم الأفضل أن أتركه دون رد؟

سألت رنا عما تريد مني أن أفعله والأفضل بالنسبة إليها قبل أيِ شيء:

- بلاش تردي وتهزقيه صدقيني أنا قمت بالواجب وزيادة، وبعدين هيعمل أيه يعني بمكالمته، هيقول لك تبقي جنبي عشان خايف عليا مثلًا ولا هيعتذر! مفيش إعتذار ولا حاجة هتصلح إللي حصل، بلاش توجعي قلبك على الفاضي يا سما، أهو كتر خيره قدم لي سبب مقنع جدًا؛ عشان أسيبه ومحسش في يوم بتأنيب ضمير.

هدأت حيوية الشاطئ حين سقط قرص الشمس الأحمر في البحر ببطء، حل الظلام وامتزجت السماء مع البحر الواسع في انسيابية، لطالما عشقت اللون الأسود الذي يزين مياه البحر ليلًا، عالم أخر مخيف ومختلف تمامًا بداخل سواده لا يعلم تفاصيله

وأسراره سوى خالقه فقط، تتعدد أشكال الحياة فيه، ويملئه الاضطراب والحركة، ومع ذلك نراه ساكن هادئ على سطحه كالجثة الهامدة، بعض البشر مثل هذا البحر لديهم القدرة على إخفاء كل شيء في اعماقهم أما خارجهم فهو ثابت، يحتفظون ببرودة أعصابهم وثبات انفعالاتهم؛ لأنهم أعلم الناس بشدة دواماتهم وتعالي أمواجهم إذا ظهر ما يدفنون، يفضلون لو هاجت ابحارهم بعيدًا عن الناس؛ ذلك خوفًا من إلحاق الأذى بهم، وإغراقهم في الظلام.

في طريق العودة لجامعة القاهرة كان الأتوبيس يعمه الهدوء بطريقة غريبة، وكأن الجميع قرر مساندة رنا ومراعاة مشاعرها، الأغلبية كانوا نائمين من التعب والأخرين يستمعون إلى الأغاني في صمتٍ أو يتهامسون في هدوء! وصلنا لميدان الجيزة سريعًا فأخذنا حقائبنا وتركنا الأتوبيس يكمل طريقه وذهبنا للمنزل.

جائت نقطة انفصال طرقاتنا فودعتنا وسام وذهبت لمنزلها، وذهبت أنا مع رنا، أدخلتها السرير؛ لتنال قسطًا من الراحة بعد هذا اليوم المرهق نفسيًا وجسديًا، قبلت رأسها وتمنيت لها أحلام سعيدة ثم توجهت لمنزلي، أرتميت على سريري أحتضن وسادتي العزيزة، أردت إخبارها بما حدث، ولكن تمكن مني التعب وغلبني النعاس ورحت في سباتٍ عميق..

الفصل التاسع

٦ مارس 2014

وراء كل مزاح جزء خفي من الحقيقة مهما تظاهرنا بغير ذلك، ووراء تلك الكلمات المرحة التي تخرج بدون تخطيط توجد واحدة مقصودة ولكنها مستترة، رغم أنني متأكدة أن وسام كانت تمزح ولكني توقفت عند كلماتها للحظة وشعرت أنها تعني حقًا ما تقول!

عند ساحة كلية تجارة وأمام مدرج (أ، و ب) بالتحديد جميعنا نجلس على العشب المتآكل، مختبئين من أشعة الشمس تحت ظلال أحد الأشجار العتيقة مصطفى ورنا يتهامسون متعانقين الأيدي بجانبنا غير مكترثين بما يحدث من حولهم، وأنا، وسام ،كريم، وحسن معًا، أستمر حسن كعادته بإثارة غضبي واستفزازي بمزاحه،

كذلك تلقيت منه عدة ضربات خفيفة على يدي ووجهي وسط اللعب، وكلما بدأت أتحدث في موضوعٍ ما يقاطعني ليتحدث هو، عشقه أن يصبح محور الحديث ومحطً الأنظار وكأن الكون يدور حوله، لطالما احتلت نفسه المقام الأول عنده، ولم أعترض بل كان يأسرني بثقته بنفسه وجاذبيته، رن هاتفي برقم غريب وكعادتي لا أجيب أبدًا من أول مرة، تفقدت الهاتف ثم أخفضت صوته بتلقائية ولم أكترث، ف لمحت في حسن نظرة استفهام! ثم سألني بنبرة جافه استنكرتها:

- مردتيش ليه؟
- دَ رقم معرفوش فمش هرد.

- لا ردي شوفي مين
- مش عايزة

- ليه مش جايز يبقى مش رقم غريب، ولا أنتِ مش عايزة تردي قدامي؟
- هتفرق أيه قدامك أو لا، أيه إللي بتقوله دَ!

رمقته بنظرة فهم معناها جيدًا فحول مجرى الحديث سريعًا للمزح، ولكن هذه المرة لم يكن هناك شيء مضحك البته، شردت بعقلي في أسلوبه المؤلم وإحراجي وخجلي من كريم ووسام، والتي سرقت الحديث من حسن معترضة ..

- أيه يا حسن، هو مفيش ثقة خالص كدَ؟
- ليه يعني

- هو أيه إللي ردي، ومش عايزة تردي قدامي، يا أبني أهدى شوية وبعدين سيب البنت تكمل جملة واحدة على بعضها، خليها تأخذ مساحتها بدل ما أنت قاعد على لسانها كدَ!

- ملكيش دعوة يا شرارة هي عارفة إني بهزر ورخامتي عليها دِ محبة

- بس مش كدَ، دَ أنا وحشني صوتها

- مين قالك إني مش مديها مساحتها دَ كده قدامكم بس، .متعرفيش أنتِ لما بنكون لوحدنا الدنيا بتختلف إزاي.

ثم أرسل الي قبلة في الهواء وهو يبتسم، هذه حقيقة بالفعل حسن مختلف تمامًا معي عندما نكون بمفردنا، يعشق الاستماع إلى كلامي مهما كان مكرر وتافه، ينتبه لرسمة الكحل الأسود في عيني، ويهتم بظافر إصبعي المكسور، وغمازة خدي الأيمن وتلك التفاصيل الصغيرة التي لا يلاحظها سواه، أما حين نكون مجتمعين مع أصحابنا أُصبح مثلي مثل الجميع وربما أقل، لا يريد لأحد أن يعرف تفاصيل علاقتنا والتدخل بها ولا يحب مظاهر الحب المصطنع أبدًا.

أنا أقدس الخصوصية ولكن مزاحه المبالغ فيه اليوم وضعني في موقف لم أتمنى أن يحدث، لاحظ من نظرة عيني أني لست على ما يرام، فأمسك بيدي وطلب مني الذهاب معه؛ لشراء قهوة وعندما ابتعدنا سألني عن سبب تبدل حالي واختلاف نظرة عيني لوهلة؟

- عادي مش حاجة مستاهلة واللهِ

- مدام ضايقتك تبقى مستاهلة، قولي لي في أيه؟

- كلام وسام ضايقني شوية، جايز أنت مش بتعمل حاجة تضايقني بس أنت بتسمح بطريقتك أن حد تاني يضايقني، أنا عارفة إنك مش بتحب الأفورة قدام حد، بس هزارك الكتير ورخامتك عليا خلت وسام تشوف إنك مش عاملي قيمه قدامهم.

- بس كدَا! دَ أنا هطين عيشتها.

- لا أنا مليش دعوة بيها، أنا ليا بيك أنت، حاول تهدى عليا شوية قدامهم عاملني زي وسام أو رنا، أنا مش طالبة أكثر من كدَ

- هحاول مع إني بعمل كدَ من حبي واللهِ

- أنا عارفة بس بلاش، ومتقولش حاجة لوسام عادي خلاص أنا مش زعلانة

- حاضر حبيبي مش هقول

ابتسمت وأنا على يقين أن لا شيء سيتغير، يدّعي أنه سيرضيني ولكني أعلم أنه لن يفعل! وكيف يغير من شيء لا يراه من الأصل! حسن يخفي حبه واشتياقه لي بستار من المزاح والسخرية، أسلوبه الغريب يجعل من حولي يشفق علي، يظنون أنه يتملكني ويمحو شخصيتي بالبطيء، ولكن هذا غير صحيح بالمرة.

تمنيت في نفسي لو يُظهر بعض التقدير، والاحترام امام أصدقائي، يشعرني ببعض الحب والتميز عنهم، أن يتوجني ملكة أمامهم كما

يفعل ونحن بمفردنا، لكن أكم من أماني رغبت بها ولن أقدر يومًا على طلبها صريحةً منه.

****

4 نوفمبر 2016

جلست رنا بجانبي على السرير مستندة برأسها على كتفي في سكون تام تستمع إلى كلامي مع وسام، انتفاخ عينيها المرهقة ووجهها الباهت أكبر دليل على صراعها مع النوم الليلة الماضية، ولم تكن حالتها النفسية ولا الجسدية تسمح لها بالخروج لذلك اجتمعنا في منزلي، أرادت أن تنفرد بنفسها وتغلق الأبواب على جرحها ولكننا لم نسمح بذلك.

عقل الإنسان هو أكبر عدوٌ له، و لتفكير الزائد مرض يتغذى على الروح ويوهن الجسد ويضعف القلب، لو جلست رنا وحيدة لازدادت حالتها سوءً ولأهلكها حزنها وتفكيرها، ورغم قلة كلامها معنا الآن إلا أنه سيظل أفضل من مكوثها في المنزل وحيدة، وجهنا لها الكلام معظم الأوقات حتى تنتبه لنا ولا تبتلعها خيالاتها حيث تجد بقايا من أحلامها الممزقة، رأيتها تبتعد فأقدمت أنا هذه المرة على جذب انتباهها.

- **لا مش هينفع كل شوية حد فينا يروح يجيبك من هناك كدَ يا رنا، رناا يا بنتي**
- **أيوه معاكِ واللهِ هناك فين؟**
- **في خيالك يا روحي أيه فينك!**

- موجودة أهو بس غصب عني ساعات بسرح.

- ما بلاش سرحان لوحدك، قولي لنا طيب بتفكري في أيه؟

- مش عارفة في حاجات كتير متلخبطة، عمّاله أقول الحمد لله إنها جت على قد كدَ مش جايز كنا أتخطبنا ولا أتجوزنا مثلًا واكتشفت إنه زبالة بعدها، أكيد إني أعرف دلوقتي أحسن، ومضايقة جدًا من إللي حصل ومتعصبة إزاي أنا كنت مغيبة بالشكل دَ وأنا معاه، بس في نفس الوقت مقدرش أنكر إن في حاجة جوايا ارتاحت أو يمكن فرحت كمان.

ابتسمت وسام كما لو كانت منتظرة بفارغ الصبر هذه الكلمة، ثم اعتدلت في جلستها؛ لتصبح في مواجهة رنا تمامًا وأشارت لها بأصبع السبابة:

- أيوه حاسة إنك مرتاحة وفرحانة ليه بقى؟

- مش فرحانة بالظبط يعني بس حاسة إني رجعت أنا تاني، كأن في هم إتشال من على قلبي، مش همثل وأحور عشان أعمل إللي أنا عايزاه وأداري خروجاتي كأني خايفة من ماما تزعقلي، مش هخاف على زعله أكثر من زعلي، يعني خلاص مبقاش في حاجة بتقيدني فهماني

- طبعًا فاهماكِ جدًا ودَ الصح أصلًا وكان لازم يحصل كدَ مِن زمان. بس أنتِ كنتِ ماسكة فيه مش عارفة على أيه!

تجاهلت رنا كلمة وسام الاخيرة ورفعت رأسها من على كتفي ونظرت إليَّ بتلك العيون الذابلة وهي تكمل كلامها:

- كنتِ بتسأليني هو يستاهل قلة الراحة إللي أنا فيها دِ ويستاهل حبي ولا لا، طلع محدش في الدنيا يستاهل أصلًا، محدش يستاهل إني أبقى مش مرتاحة، أنا أحسن مِن كدَ، واستاهل حد يقدرني ويعاملني أحسن من كدَ، حبي لمصطفى كان كتير عليه وما كنش يستاهله

"لا أحد يستحق" قاعدة تتخذها كل فتاة تم جرحها وطعِنت ثقتها بالناس بسبب أحدهم، كل فتاة ضحت ولم تجد مقابل، وتعلقت بأحلام وأماني وردية وصدمتها الحقيقة المريرة، أحبت بصدق وتفانت في العطاء وكانت نهايتها حزينة ومفجعة، فاض بها الكيل؛ فتحولت لفتاة جديدة.

لحظة تحول فارقة في عمرها لن تنساها أبدًا، يتغير فيها منظور الحب ويحل محله منظور الكرامة، يتحول تفكيرها مِن هو وحبي له أهم شيء إلى نفسي ثم نفسي ثم بعد ذلك يأتي الجميع، إقرار بأهمية الراحة النفسية والاطمئنان في أي علاقة ولو على حساب الحب نفسه، الحب قادر على بدء العلاقة لكن الأمان والثقة والتقدير فقط يجعلوها تستمر.

- هو أنا ممكن أغير الموضوع شوية؟

هكذا قالت وسام بعدما لاحظت تغير نبرة صوتها إلى نبرة مرتعشة قليلًا، و أصبحت يدها تتحسس عنقها في توتر، لم نعترض على تغيير الموضوع أنا ورنا؛ فوجهت وسام الحديث إلى بعد تردد غريب مشيرة إلي إنها تريد أن تطلب مني طلب ولا أحد يستطيع أن يساعدها فيما تحتاجه عداي، فهمت مرادها فقد توقعت بالفعل هذا الطلب ولا أدري لماذا تأخرت كل هذه المدة في طلبه، ولكن رغم صدق توقعاتي لم أكن أدري ماذا يجب أن أفعل!

- سما أنا عايزاكِ تساعديني أشوف كريم

- ماشي بس دِ هعملها إزاي! أنا مش عايزه كريم يزعل مني يا وسام

- مش هيزعل عشان مش هيعرف أصلًا بس أنتِ وافقي، واللهِ أنا مش هعمل حاجة تضايقه، بس أنا محتاجة أطلع إللي جوايا ومش شات ولا مكالمة لا، أنا عايزة أشوفه واتكلم معاه بدل ما يحصل لي حاجة

وافقت وسام على طلبها ووضعنا خطة مناسبة للقائهم واستمر حديثنا ساعات طويلة، استطاعت رنا النوم قليلًا خلالهم بجوارنا على السرير، وبعدما استيقظت بدأت تسترد صحتها قليلًا، وتتحدث معنا وتضحك قليلًا، كثر الكلام ولا إراديًا وجدنا تسليتنا

في إلتهام ما يقرب من نصف الطعام الموجود في الثلاجة والغريب أننا لم نكن نشعر بالجوع أبدًا، أصبحت الساعة العاشرة مساءً؛ فطردتهم مازحة من المنزل بعد إدراكي بأن وجودهم يعد خراب لميزانية هذا الشهر تمامًا!

"*******

أغلقت باب غرفتي وكذلك الإضاءة ورجعت إلى سجني المحبب والكئيب، نمت على السرير حاملة الهاتف في يدي، تبادلت أنا وهو النظرات المختلسة لفترة، يدور بداخلنا آلاف الكلمات وكلانا يعرف جيدًا ما يريد، هو يريد الوصول لحسن والاطمئنان عليه، يريد استقبال اتصاله واحتضان كلماته وللأسف كذلك أراد قلبي، ولكن هل يستحق! هل يستحق، هكذا سألت نفسي خائفة من الإجابة، هل يستحق حسن معاناتي مع قلبي وتشتت أفكاري لهذا الحد؟ وحدتي وهواني عليه لمدة شهور طويلة هل تستحق؟

ألم أتجرع الألم بما يكفي بسببه؟

ألم تكتفي عيني من الدموع في غيابه؟

هل وجوده بجانبي يستحق المزيد من المعاناة؟

ضاعت مني ليالي عديدة في التفكير والتردد بدون فائدة، لم أنال منها سوى آلام الجسد والصداع والأرق الدائم، ولكن لابد من وضع حد لما يحدث ليس لدي خيار آخر، استجمعت قواي وبحثت عن أسم حسن في الهاتف وفي لحظة واحدة و بدون تفكير اتصلت، وكأن حسن كان ينتظر اتصالي، لم يستغرق الرنين أكثر من ثانية وتم الرد في الحال:

- **ألو أيه يا سما أنتِ فين كل دَ!**
- **موجودة عادي**
- **أنتِ كويسة؟**

أنا قلقت عليكِ بقالي يومين مش عارف اوصلك.

- **أنا كويسة متقلقش**
- **الحمد لله طيب إيه إللي حصل خلاكِ تختفي فجأة كدَ؟**
- **هقول لك، مش إحنا صحاب!**
- **أيوة طبعًا**

سكين حادة إنغرست في قلبي، كانت هذه هي الكلمة المنشودة تمامًا، هوى قلبي بين قدماي، خذلتني كلماتي وفقدت القدرة على التعبير عمًا بداخلي، كانت كلمة واحدة منه قادرة على تغيير قراري، ولكنه لم ينطقها! كان بمقدوره إعطائي الدنيا كلها ولكنه هدم أي أمل متواجد بداخلي وتفانى في قتلي بدمٍ بارد.

صَمتُ رغم عني لعدة ثواني، تردد إسمي من سماعة الهاتف حسن يناديني؛ أدركت أنني لن أستطيع الاستمرار في المكالمة واخباره بما أريد، خرج صوتي المختنق قسرًا، كادت أذني ألا تسمعه:

- **أنا لازم أقفل دلوقتي يا حسن، سلام**

لم انتظر رده أغلقت الهاتف على الفور، وألقيته على السرير ثم دفنت وجهي في وسادتي أبكي بحرقة، لقد كنت محقة مع الأسف، كانت الحقيقة واضحة أمامي منذ بداية لقائنا، ولكني كذّبت عقلي وتغافلت عنها عن قصد هو لا يراني و لم يأتي؛ كي يستكمل ما تركه ناقصًا في الماضي، بل أرادني مجرد صديقة! أنا أفضل مِن أن يخسرني ولكن أقل مِن أن يتخذني حبيبة ولكن لم أعد أحتمل.

أرسلتُ له رسالة وعاهدت نفسي بعدها أنني لن أرد على اتصالاته أو رسائله، سأبدأ صفحة جديدة بدونه، وسأتعلم التنفس بعيدة عنه، قد تتعثر خطواتي ولكني سأنجح، ستبتسم أيامي وستتراقص أحلامي وستتحقق يوم ما ولن يشاركني أيٍ منهما.

" أنا وأنت مكناش صحاب ومش هنكون أبدًا يا حسن "

ظللت أبكي حتى جفت دموعي، لا أدري كم مر من الوقت وأنا على هذه الحالة، ولكن كل لحظة مضت وكأنها دهرًا، غسلت وجهي بماءٍ كالثلج عسى يبرد نار قلبي وتناولت حبة مسكن وعدت مسرعة لحضن وسادتي، أستقر جسدي فى تلك الوضعية التي تسمى وضعية الجنين، واستمرت عيني تنزف دموع صامتة، وظل قلبي يصرخ صرخات مكتومة من جديد لا وجود لحسن، أصبحتُ وحدي من جديد وهذه المرة أخترتُ وحدتي بيدي وجرحت نفسي بإرادتي.

و إن سألتني يومًا عن سبب بُعدي عنك رغم عودتك، وسبب دموع عيني وقهرتي وأنا راحلة، لا أدري كيف سأوضح شعوري ود تبدوا بالنسبة إليك أسبابي غير منطقية، ولكن لم يصبح الوضع بيننا يكفيني، لم نكن أبداً أصدقاء، فكيف بمنتهى القسوة تطلب مني الآن أن نكون! لم نتحدث من قبل بتحفظ ولم تكن علاقتنا محدودة أو مشروطة، لم نلتزم بأي قواعد فلا تنتظر مني الآن أن أتماسك أمامك، وانتقي كلماتي معك، ربما يكفيك كوني لك مجرد صديقة ولكن لم يعد يكفيني.

نعم أنا الغائبة الأنانية الظالمة، ولكن من منا كان الراحل ومن كان الباقي؟ كنت راحلة وأنا للأبد سأظل متمسكة بك، وكنت أنت الباقي رغم أنك مُفارق منذ زمن!

ولكنك لست مُدرك أنني لم تعُد تكفيني محادثاتنا كنت أريد لقاء، ولم تعُد تكفيني ابتسامة كنت أريد عِناق، ولم تعُد أنت تكفيني كصديق كنت أريدك حبيب وزوج.

لم أقدر على البقاء رغم عِلمي بمرارة الفُراق، ولكن وجودك قريب مني بهذا القدر وبعيد عني كل هذا البعد كان مؤلم للغاية.

أعتذر عن انانيتي وعن رحيلي، ولكن لم أعد أحتمل قربك البعيد.

الفصل العاشر

بهتت ألوان الحياة واختفت معالمها وتحولت ضوضاء الكون من حولي لسكون رهيب، وبرغم كبر الدنيا يضيق صدري شيئًا فشيئًا ولا استطيع التنفس، ذبلت عيني وحاوطتها غمامة سوداء كثيفة، وهن جسدي فأصبحت مجوفة تمامًا، خارجي هادئ ومميت بطريقة مرعبة، سكون حركتي والشقوق العميقة في شفتاي وتلك الأشجار السوداء المتشعبة تحت أجفاني لم تكن إلا مؤشر لشيء واحد، أنني أنهار نفسيًا.

أشعر بالإحباط كتائه وحيد في جزيرة منعزلة غابت عن نظره أخر سفينة نجاة رآها، ولن تأتي بعدها أخرى!

شعرت بالحزن ينهش في أحشائي، لم تكن المرة الأولى التي أحزن فيها ولن تكون الأخيرة، ولكني أدركت حجم وحدتي حين غاب عني حسن من جديد، أدركتُ أن لا أحد يمكن أن يحل محله، ويسد احتياجي إليه، أدركتُ أنني لا شيء بدونه، أصبحت خاوية من الأحلام والامنيات بعدما وضعتها جميعًا به.

وكالعادة ينتهي بي الحال في أحد أركان غرفتي المظلمة أحتضن وسادتي وأبكي، أبكي بحرقة على ذكريات مضت ومازال تأثيرها باقي، وعلى سنوات حب ووعود تمنيت دوامها للأبد،

وباتت مستحيلة، وعلى حلم جميل تفتح في الأيام الماضية، واستنشقت عبيره من جديد، وتأملت أن يكتمل ولكنه تحول فجأة لكابوس.

لكن الحياة لن تتوقف عند غياب حسن، وبرغم اضطراباتي وصراعاتي الداخلية العالم لن يتوقف لحظة ليواسيني، يجب أن أتأقلم وأن أقوم بمهامي اليومية، وأستمر في العيش وكأن شيئًا لم يكن.

الانهيار، الصراخ، البوح، هذه رفاهيات لم أنعم بها يومًا، لا يمكنني النجاة أو الهروب، ولا يحق لي الميل ومن حولي بحاجة إلي ويستندون علي، لدي خطه وضعتها مع وسام و يجب أن تنفذ الآن.

****

6 نوفمبر 2016

بداية يوم جديد وما أثقلها من بداية، أسقط ليلًا في ظلامي عدة مرات وحين يأتي النهار أستقبله بوجهٍ مبتسم، أقوم بدور المتعافية والكآبة تمتص دمائي

أعيش يومي وفي قلبي نيران مشتعلة، كانت الساعة العاشرة صباحًا بدأت يومي بصداعٍ شديد أصبح صديقي الوفي منذ أيام، وبشكل مبرمج وآلي أمسكت الهاتف أتواصل مع كريم أبلغه اني أريد رؤيته بشدة، ولم أتقبل منه أي أعذار.

أندهش من إصراري؛ فتحججت بأنني لست على ما يرام وأريد التحدث معه عن ما يضيق به صدري؛ لذلك اقتنع واستجاب لي وأخبرني موعد وصوله للجامعة لنلتقي هناك، والتقينا.

بدأت في تنفيذ الخطة فور لقائي بكريم فأرسلت رساله لوسام خلسة كما أتفقنا من قبل، أخبرها بأنني في الجامعة مع كريم، فيجب أن تتحضر وتأتي فورًا، وأجابتني بكلمة واحدة فقط "تمام."

حاولت التحدث مع كريم عن ما أشعر به متأمله أن يستمع لأنين قلبي، ولكن بلا جدوى، محاولاتي البائسة في البوح والخروج من قوقعتي لا فائدة منها! تقف كلماتي على طرف فمي وتأبى الخروج، أريد شرح ألآم روحي ولا استطيع، احتفظت بانهيار مشاعري لنفسي، واخبرته بإختصار ما حدث في الفترة الأخيرة، ولم يكن لديه علم به، اخبرته بالخطوط العريضة متحاشية جميع التفاصيل، وغير موضحة مشاعري المتألمة وندمي على قراري الصحيح منذ لحظة تنفيذه الأولى، تكلمت وتكلمت وكريم يستمع بدون إبداء أي رد فعل، وعندما انتهيت سألته باستغراب:

- ساكت ليه!
- مستني تخلصي كل إللي حصل وتطلعي إللي جواكِ
- طيب أنا خلصت أيه رأيك! أنا غلطت من الأول صح؟

- أنتِ مش غلطانة يا سما أنتِ لسه بتحبيه، جايز غلطتي إنك بتسمحيله يتعبك بس أنا مش مستغرب إللي أنتِ عملتيه إطلاقًا، أنا مستغرب هو ليه يعمل كدَ ويستفاد إيه أنه يرجع يدخل حياتك ثاني بالشكل دَ!

هو مش غبي هو عارف إنك لسه بتحبيه

- وأنا عارفة إنه ميقدرش يعيش من غيري يا كريم أنا فارقة معاه صدقني

- ماشي مصدقك بس مش فارقة للدرجة إللي تخليه واثق من قراره، ويقولك ترجعوا لبعض مثلًا أو إنه يأخذ خطوة ويتقدم لك وتتجوزوا، هو عايزك في حياته بس من غير قيود ولا مسؤولية

- عندك حق مش للدرجة

- أنا مش بضايقك على فكرة أنا بثبت لك إن إللي أنتِ عملتيه دَ الصح والمفروض تعيشي حياتك بقى، وهو لازم يبقى عارف إنه لو هيرجع يكلمك يبقى كلام جد مش مجرد صحاب، وبعدين سبيها على ربنا أنتِ كدَ عملتي إللي عليكِ وفهمتيه إنكم مش صحاب وجايز دَ يبقى سبب إنه يحس بغلطه ويرجع ثاني فعلًا

- دَ زي انت ووسام كدَ؟

- متدخليش الأمور في بعضها يا سما

- أنا أسفة يا كريم بجد شكلي هبدأ أخرف، أنا هروح الكافية شوية تيجي؟

- لا أنا قاعد شوية في الجامعة

تركت كريم وبسرعة أرسلت لوسام رسالة بمكانه في الجامعة بالضبط، كانت قد خرجت من البيت متوجهة إلى الجامعة منذ نصف ساعة، وعلى وصول الآن تقريبًا، بعد دقائق قليلة ردت بأنها وصلت بالفعل وستكون أمام كريم في غضون عشرة دقائق على الأكثر.

جلستُ متخفية في مكان قريب من كريم أراقبه في حذر خوفًا من ذهابه إلى أي مكان أخر، حتى أتت وسام ورأيت أول لقاء بينهم بعد فترة الهروب والغياب الطويلة، شعرت بنظراتهم غريبة وعتابهم كان صامت، أردت إعطائهم بعض الخصوصية فابتعدت في هدوء.

أخيرًا أتممت مهمتي بنجاح وذهبت للمقهى بمفردي؛ حيث بإمكاني خلع ثوب المتعافية وإرجاع وجهي لحالته السابقة والتوقف عن التمثيل.

****

كان المقهى في وسط النهار فارغ و هادئ تمامًا أو هكذا بدا لي، جلست على نفس الطاولة التي جلست فيها مع حسن أتأمل المكان

من حولي بذهن مشتت وعقل مضطرب، وضعت يدي أتحسس مكان علبة سجائره وموضع يده على الطاولة.

أخرجت من حقيبة يدي مذكراتي أمسكتها بيد ترتجف، أردت تدوين معاناتي وأحلامي المحطمة، استرسلت في الكتابة لا إراديًا أعبر عن ما في قلبي بكلمات تنزف دمًا، طبعت ما عجز لساني عن البوح به على الورق بلا توقف، مرت ساعة أو أكثر وأنا على نفس الحالة أكتب وأنتحب في صمت، بجانبي عدد من المناديل لا حصر لها، ونظرات الشفقة والعطف تحاوطني من جميع الاتجاهات.

تلقيت رسالة من وسام تسألني عن مكاني، أخبرتها أنني في المقهى، فردت أنها قادمة في الحال، ولم تضيف كلمة أخرى، فجمعت أشلاء نفسي بسرعة واخفيت مذكراتي وحاولت محو آثار دموعي، تمالكت أعصابي ورسمت ابتسامة مصطنعة على وجهي من جديد، وانتظرت....

بعد قليل أتت وسام ووجهها يكاد ينفجر و تتطاير منه الدماء، جلست وتناولت كأس الماء من أمامي وشربته بالكامل.

- إيه مالك! وشك أحمر ليه كدَ؟

- هقولك بس استني رنا جاية في الطريق لما تيجي هحكي مرة واحدة

- أنتِ كلمتي رنا كمان لا دَ أنتِ كدَ قلقتيني أكثر

- أصبري على رزقك بس، رنا قربت تيجي واللهِ

- طيب تمام أهدي وخدي نفسك كدَ، صحيح طيب بما إنك مش هتحكي دلوقتي أنا كنت عايزة أسألك حسن مسألكيش عليا؟

- لا.

- بجد يا وسام متضحكيش عليا؟

- شيليه من دماغك بقى هو ميستاهلش تفضلي مستنياه يسأل عليكِ أو يرجع

- تمام عندك حق.

قد يكون حسن لا يستحق الانتظار، ولكن شعوري معه يستحق ووحدي أعرف هذا الشعور، ولكنه لم يحاول الوصول إلي، كان يجب أن يسأل وسام عني ويحاول التقرب مني مرة أخرى، لو أراد الرجوع فعلًا لسعى أكثر، لو أراد الاقتراب مني مرة أخرى لجاهد من أجلي.

- أهي رنا جت وطلبنا إللي هنشربه وسبناكِ تهدي وكله تمام أحكي بق أيه إللي حصل.

- مين فيكم كان عارف إن كريم بيحبني!

دقائق من الصمت و التوتر، تمنيت لحظتها لو أن الأرض انشقت وابتلعتني، نظرات رنا بريئة للغاية تمتزج معها نظرات دهشة من حقيقة حب كريم لوسام، أما نظراتي المرتبكة كادت تفضحني، ترددت هل أخبر وسام أم لا؟ ابتلعت توتري بصعوبة وأنا أفكر ماذا أفعل، لكن وسام توجهت إلي حسمت الأمر

- أنتِ كنتِ تعرفي يا سما صح؟

- بصراحة يا وسام أه، يعني أه كنت عارفة بس واللهِ ما كنش قصدي أخبي هو كريم إللي كان محلفني إني مقولش لحد

- حتى أنا يا سما، أنا صاحبتك كان لازم تقولي لي

- بس الموضوع ميخصنيش عشان أقولك عليه، مقدرتش أقولك وأضايق كريم بس كنت بحاول أفهمك بكل الطرق وأنتِ مكانش في دماغك ولا بتاخدي بالك.

- وأهو جه اليوم إللي رمها لي في وشي، وطلعت أنا الغبية إللي مش فاهمة حاجة

- حقك عليا بجد

لم استطيع التبرير خانتني كلماتي، ولم أتمكن من دخول مناقشة مع وسام ستستنزف ما تبقى بداخلي من طاقة، ولكن في هذه اللحظة انقذتني رنا وتدخلت في الحديث من تلقاء نفسها:

- على فكرة سما مش غلطانة، حطي نفسك مكانها برضه يا وسام مكنتيش هتقدري تقولي، وبعدين أنا مش فاهمة إيه إللي مضايقك كدَ إن هو طلع بيحبك، ولا إن سما خبت عليكِ!

النتيجة واحدة، و بعدين عادي جدًا إنه يحبك ما أنتِ قريبة منه أوي، بس اشمعنا دلوقتي بقى!

- لا هو قالي إنه بيحبني من زمان، وإنه اصلًا ارتبط وبقى يهرب مني؛ عشان حاسس إن مفيش أمل من ناحيتي، بس لما قابلني مقدرش يخبي وقالي وياريته ما قال، اتخنقت وفكرت اسيبه وامشي.

- طيب سيبك من دَ كله هو مستني منك أيه!

- مستني ردي عشان مش قادر يستحمل الوضع كدَ فيا أبعد عنه خالص؛ عشان يبطل يستناني يا أقول إني بحبه

- وأنتِ حاسة بأيه؟

- مش عارفة أنا مش عايزه ارتبط دلوقتي، أنا لسه بدرس وأنتن عارفين إني مش بحب الجو دَ، أنا متضايقة جدًا وحاسة إن أنا إللي خليته يعترف أصلًا؛ عشان بغبائي قلت له حاجة أول ما شوفته مكانش المفروض أقولها.

- قولتي إيه!!
- قلت له وحشتني.

وجدت نفسي ابتسم رغم عني وأنظر في خجل إلى رنا التي ابتسمت بدورها ثم نظرت لوسام ونظرة الغضب مرسومة على وجهها؛ فاتسعت ابتسامتي أكثر، هي تحبه وهو يحبها، لماذا الخوف إذًا!

أخفيت ابتسامتي وهدأت من حدة صوتي وهيأت نفسي مضطرة لمحادثة اقناع ستطول مع وسام و بدأت أتكلم:

-وسام أنتِ في سنة رابعة دلوقتي والمفروض تكوني متخرجة أصلًا، مستنية أيه عشان ترتبطي!

الوقت المناسب بالنسبة ليكي أمتى؟

- مش حاسة إني عايزه أرتبط دلوقتي خالص، أنا حرة.

- مش سهل تلاقي حد محترم وكويس وحالته المادية حلوه وبيحبك زي كريم، وأنتِ كمان بتحبيه وإحنا عارفين دَ كويس

- أيه دَ! مش بحبه لا

- أنتِ مش عايزة تعترفي بكدَ بس إحنا شوفناكِ كنتِ عاملة إزاي وهو بعيد عنك ومع واحدة تانية، وبعدين يا ستي حتى لو مش بتحبيه هو بيحبك جدًا وأنتِ متفاهمة معاه وعارفاه، محدش لاقي الكلام دَ دلوقتي فبلاش تضيعيه من ايديك هتندمي بعد كدَ.

تدخلت رنا التي ساندتني وأكملت كلامي مقتنعة بوجهة نظري، ومؤيدة لرأيي بشدة.

-اه واللهِ إحنا عايزين مصلحتِك أنتِ لو قولتي لكريم إنك بتحبيه أو موافقة تديله فرصة يعني هتلاقيه عند أبوكِ بعدها بيوم، مش لازم ارتباط مش رسمي لو أنتِ مش حابة كدَ، بس يا بنتي فكري كويس بدل ما تفضلي سينجل بائسة زينا.

- أنا مجرد ما الفكرة بتيجي في دماغي بطني بتوجعني، وعلى فكرة أنتِ يا سما حسابك معايا بعدين، أنا لسه زعلانة منك عشان تبقي عارفة.

نظرت لوسام وأمسكت كوب *الكابتشينو* ورفعته إلى فمي مبتسمة في استفزاز وقولت بمنتهى البرود واللا مبالاة المصطنعة:

- لا أنا حبيبتك متقدريش تزعلي مني أصلًا، شوية وهتروقى وهتعرفي إني أكيد مقصدش اضايقك.

دام حديثنا لمدة طويلة اقتربنا فيها من إقناع وسام بالتفكير في كريم والاعتراف بحبها له، وكلما انتقل مجرى الحديث إلى حسن هربت به بعيدًا وتوجهتُ به إلى أي شيء أخر، إلى رنا التي أصبحت شخص أخر بعد انفصالها عن مصطفى، انتعشت روحها مرة أخرى ورجعت لحياتها وأصدقائها، وأصبحت شخصية متفائلة وضحوكة ومفعمة بالحياة من جديد بعدما تحررت من قيود وتحكم مصطفى.

الفصل الحادي عشر

10 نوفمبر 2016

- رنا، أنا قريت رسالة بعتها لي مصطفى وعايزة أقولها لك

- أنتِ بتستهبلي يا سما، بتتصلي بيا الساعة أتنين بليل عشان تقولي لي كدَا! واللهِ خضتيني أفتكرت حاجة مهمة.

- ما هو إللي عمّال يزن وبعدين أنا مش برد عليه خالص بس المرة دِ فتحت رسالته بالغلط؛ فقريتها وحبيت أقولك يمكن عايزه تعرفي إللي فيها؟

- طيب قولي يا سما فيها إيه؟

- عايزك تسامحيه، بيتأسف لك جدًا وحاسس بتأنيب ضمير، عارف إنك مكنتيش تستاهلي منه كدَ ونفسه ترضي تشوفيه في الجامعة، أو تشيلي البلوك حتى، ويكلمك يعتذر لك بنفسه، هو عارف إن استحالة ترجعوا تتكلموا ثاني بعد إللي حصل بس مش عايز النهاية بينكم تبقى بالشكل دَا!

- لا كتر خيره

- أنتِ بجد مش متأثرة يا رنا!

- خالص ومكذبش عليكِ رسالته دِ فرحتني عشان أنا كنت كويسة معاه للأخر بس هو ميستاهلش، هو يستاهل يتعب ويحس بتأنيب ضمير دَ لو لسه عنده ضمير من أصله، خليه يندم هو إللي عمل في نفسه كدَ، كان المفروض يعمل حساب اليوم دَ وهو بيخوني وبيتحكم فيا.

- مش عارفة أقولك أيه بصراحة!

- طيب أقولك حاجة أول مرة تعرفيها في مرة زمان مصطفى نسي تليفونه معايا، وطبعا زي أي بنت الفضول خلاني أفتح الموبايل، مش عارفة ليه مجاش في دماغي إني أفتح أشوف الرسائل مثلًا وأشوف بيتكلم مع مين، أنا كل إللي عملته إني فتحت الجاليري ساعتها شوفت صور صدمتني بنات لابسين حاجات لا تذكر، ومتصورين بطريقة قذرة وزي ما تكون الصور مخصوص لمصطفى، من صدمتي فيه معرفتش أتكلم ولا أزعق ومقولتش لحد خالص بس فضلت فترة مش بتكلم معاه، اعتذر كتير وحلف إن دَ كان زمان وإن مبقاش الحاجات بتحصل من يوم ما ارتبطنا، وهو بس نسي يمسح الصور، معاملته معايا اتحسنت جدًا في الوقت دَ، وحسيت إنه بجد بيحبني وخايف يخسرني، ورغم إن الحقيقة الوحيدة في كلامه كانت إنه نسى يمسح الصور، وللأسف صدقته عشان كنت عايزة اصدقه! بس إللي حصل دَ كان لازم يحصل؛ عشان أفوق، كان لازم الحقيقة تخبط في وشي كدَ عشان أشوفها زي العيلة الصغيرة مش بعرف خطورة التنطيط والشقاوة غير لما أقع واتكسر، أنا مش عارفة أيه فكرني بالموقف دَ دلوقتي، وليه بحكيه لك، نامي وسيبك منه يا سما ولو عايزة تردي عليه قولي له إنك وصلتِ رسالته وعملتِ إللي عليكِ.

تملكني شعور غريب ربما لو عرفت تلك المواقف من قبل؛ لكانت صدمتي أكبر أما الآن انطفئت دهشتي، أي شئ متوقع من مصطفي، ولكن ما لم استطيع تجاهله هي نبرة الشماتة في صوت رنا، وقدرتها على تحويل حبها إليه في غضون أيام إلى هذه الدرجة من اللامبالاة!

رسالة مصطفى جائت في الوقت المناسب لتغذية كبريائها وإرضاء غرورها، لم تعد تشك في أنها تستحق الأفضل منه وأنها كانت سجينة ظالمة لنفسها حين تمسكت به، أغلقتُ المكالمة وأنا معجبة بصلابة رنا ومشمئزة مما وصل إليه مصطفى، واضح من اتصالاته ورسائله التي لا تنقطع منذ أيام أن الندم يأكله، ولكنه ندم بعد فوات الأوان.

"قلت لها" بعثت له هذه الكلمة فقط ثم تركت الهاتف ولم أنتظر رد.

*****"********************

11 نوفمبر 2016

المصائب لا تأتي فُرادى، في أقل من شهر واحد كنت اتخبط بين أحداث متتالية فاقت قدرتي الاحتمالية، شعرت أني بداخل إعصار ليس له نهاية وأدور فيه لا إراديًا بدون وجهة محددة! أبدًا لم يكن هذا الوقت المناسب لاتخاذ أي قرار بشأن حياتي المستقبلية، موافقتي على إدخال شخص جديد في حياتي الآن يعد بمثابة التوقيع على وثيقة ظلمي له مدي الحياة، ولم أكن أبدًا بالأنانية

التي تجعلني أفعل ذلك، وكيف أنظر للمستقبل وقلبي مازال مكبل بحبال الماضي!

- **أنا جالي عريس**

هكذا قلت بصوت مبحوح في غرفتي، أترقب نظرات وسام ورنا متوقعة منهم شلالات من كلمات الإقناع، بعدما أخبرتهم بمدى جدية العريس ومميزاته المادية والاجتماعية التي قد تجعله مناسب لأي فتاة مكاني، رغم أن فكرة الزواج التقليدي لم تكن مقبولة أبدًا بالنسبة إلي، ولا أدري كيف تتزوج فتاة من شخص لا تعرفه سوى في شهور الخطوبة فقط! حيث يرتدي كل منهما قناع الأخلاق الحميدة ويوهم الآخر بمثاليته، ويظهر من شخصيته ما يريد إظهاره فقط، وما خُفي كان أعظم، غالبًا ما يتغير كل شيء بعد الأيام الأولى من كتب الكتاب، ولكن لم تكن هذه مشكلتي هذه المرة على الاطلاق.

استمعت لنصائحهم العقلانية والمكررة والتي تشبه نصائح أمي في كل مرة يأتيني فيها عريس تجده من وجهة نظرها مناسب، أصبت بضيق تنفس من طريقة تفكيرهم واستهانتهم بمشاعري تجاه حسن لهذه الدرجة، فجوة تتسع بيني وبينهم كل يوم، أخفي معالم الألم على وجهي بصعوبة وأنا أستمع إلى محاولاتهم البائسة لإقناعي، تأرجح الحديث بينهم بالتناوب وصارت رأسي تتنقل بين كلماتهم ككرة القدم،

ثم أمسكت رنا بيدي بتلقائية وهي تقول:

- فكري فيه يا سما، أنتِ مش هتفضلي لوحدك على طول مسيرك هتتجوزي ودَ شخص مناسب، وأنتِ بتقولي أهلكم عارفين بعض ودِ ميزه على الأقل ضامنة إنه إبن ناس وهيصونك، يمكن يقدر ينسيكِ حسن أو يمكن تحبيه أكثر من حسن الله أعلم.

- وبعدين تقدري تقولي لنا دلوقتي أنتِ مستنيه إيه! حسن نهايته اتعرفت خلاص مش هتفضلي مستنياه العمر كله، وفرصة إنك تتعرفي على حد جديد وتتجوزي مش صالونات كل شوية بتقل أكثر، بلاش ترفضي حد من غير ما تشوفيه، وتعملي إللي عليكِ جايز يعجبك عادي.

- قولي لنفسك يا وسام ومتضيعيش كريم من إيديك، كريم فرصة لو ضاعت منك هتندمي واللهِ.

- أنا فكرت وعارفة أنا هعمل أيه يا رنا، خلينا في سما دلوقتي إللي موقفة حياتها على حاجات خلاص انتهت ومش هترجع ثاني

كدت اختنق وأنا أستمع إليهم، تصاعدت الدماء لمقدمة رأسي وبرزت عروق جبهتي، وصارت تصرخ من شدة الألم، أحسست بنبضات قلبي في حنجرتي تمنعني من الكلام.

حاولت مرارًا أخذ نفس عميق؛ كي أهدأ ولكني فشلت وكأن هناك شيء يضغط على صدري، ترقرقت في عيني دمعتين وسقطتا مني

لا إراديًا ثم سحبت يدي من بين يدي رنا، وانفجرت في الكلام فجأة بدون مقدمات:

- كفاية بقى حاولوا تفهموني، مش سهل أفكر في حد ثاني وأمسح سنين من عمري في لحظة، مش سهل إني أدخل حد حياتي وأنا لسه بفكر في حسن، أنا من كام شهر بس كنت ماسكة أيده وبفكر في مستقبلنا سوا! عارفين يعني أيه عيشت معاه أول كل حاجة حلوه في حياتي، مش هينفع في يوم وليلة أشيله من دماغي وقلبي وأحط حد ثاني مكانه، ومش عايزة أظلم شخص ملوش أي ذنب غير إنه دخل حياتي في وقت غلط، تمام! تمام، أنا هشوف العريس وأقعد معاه عشان أنا تعبت من المناهدة والكلام الكثير، بس هرفضه ومش هدخل حد حياتي إلا لما أبقى عايزة وقادرة ومستعدة أعمل كدَ.

فتحت إحدى أدراج مكتبي وبدأت بإخراج صور تجمعني بحسن، والقليل من بلونات عيد الميلاد التي احتفلنا به معًا، أغلاف *شوكولاته* كنت احتفظ بها، وميدالية يتدلى منها فانوس من الخشب، ورود مجففة من حدائق جامعة القاهرة، ثم ألقيتهم جميعًا أمامهم على الأرض، ثم أنهيت كلامي وأنا أحتضن وجهي بكلتا يدي وانتحب من البكاء، لا أدري متى انهالت كل هذه الدموع مني وبللت أكمامي.

كانت الكلمات تخرج من فمي مبتورة وسط أنفاسي المتقطعة، شعرت برنا ووسام يحتضناني برفق، يد رنا احاطتني ورتبت علي

بدون كلام، ووسام أمسكت بيدي واسندت رأسها على كتفي في هدوء، رغم تلامس أجسادنا وقربهم مني لهذه الدرجة شعرت بالوحدة، حتى وأنا بينهم لم تفارقني الغربة يومًا.

عانيت وأنا أحاول الخروج من صمتي وتوضيح أسبابي، وأنا أعلم في قرارة نفسي أن في النهاية لا أحد يفهم، قسرًا بوحت لهم بما يسمم روحي واسترسلت في إفراغ محتويات قلبي وتنظيف جرحي من دمائه الملوثة، تنفست الصعداء بعدما مرت ساعات، وأنا أُفرغ الثقل القابض على أنفاسي بدون توقف، تيقنت وأنا استمع للكلمات الخارجة من فمي من قراري برفض العريس، ولم أشعر بالذنب للحظة واحدة، وكذلك أُسكت رنا ووسام وأقنعتهم بقراري ولم يستطيعوا مجابهتي.

بدأت رنا في إخبار وسام بما حدث الليلة الماضية، لم تتفاجئ وسام وكأنها تعلم بالفعل مضمون رسالة مصطفى، تناولت هاتفها وأعطته لرنا؛ لتريها الرسائل الواردة من مصطفى لها أيضًا، قرأتها رنا وهي تبتسم في إنتصار ثم رفعت عينيها لوسام قائلة:

- في رسالة جات لك من حسن بس ملحقتش أقرأها، هو أنتم بتتكلموا؟

- عادي مش كتير بس ساعات بنتكلم.

سحبت وسام الهاتف من يد رنا وهي توجه كلامها الأخير إلي؛ فسألتها مترددة عن حسن.

- محاولش يعرف عني حاجة؟

- مزهقتيش من السؤال دَ يا بنتي أنتِ بتتعبي نفسك على الفاضي.

كنت أعلم مسبقًا أن هذا سيكون ردها، ولكن سؤالي لم يكن سوى؛ لإيقاظي من غفلتي وإخراجي من عالم الأوهام والقصص الخيالية، كان جوابها المتكرر بحقيقة عدم سؤاله عني يهمس بأذني ويقول كفى بِرَبِك حماقة، إن كان يريد العودة لما ذهب من الأساس، وإن كان متمسك بكِ حقًا لما تركك أول مرة.

استلقت رنا على السرير بعدما تركتها لأودع وسام التي أصرت على الرحيل فجأة، عدت للغرفة وتناولت أحد المسكنات القوية أملًا أن يتركني الصداع النصفي ثم استلقيت بجانب رنا.

- أنتِ كويسة؟

- حقيقي مش عارفة بس أكيد كنت هبقى أحسن لو *حسن* كان بيسأل عليا!

- بالعكس أنا شايفة إن كدَ احسن كتير.

- أنا مستغربة يا رنا، ليه مش بيحاول يوصل لي عن طريقك مثلًا!

مش لازم وسام، ليه مش بيعافر عشاني!

دَ زي ما يكون ما صدق إني قلت له يبعد عني.

- لو عايزك هيعرف يوصل لك يا سما مهما قفلتِ الطرق في وشه وأنتِ عارفه دَ كويس

- عارفة بس الظاهر إني مش عايزة أصدق إنه مبقاش عايزني فعلًا زي زمان.

****

امتزجت العديد من الأصوات معًا ولا أستطيع تحديد أي منهم على حدى، أصوات أمواج البحر تعلو بوتيرة واحدة، واختلطت معها ضحكات أصدقائي مع حسن بالقرب من أذني، وصوت ضعيف يصدر من هاتفي يخبرني بقدوم العديد من الرسائل الجديدة، أصواتهم جعلتني أبتسم في سعادة و نشوة، شعرت بالرمال الباردة تدغدغ أصابع قدمي، لماذا أرى حسن يقف أمامي! يده ممدودة إلي تناديني وتقترب مني بهدوء، يكاد يحتضني! أشعر بأنفاسه بقربي وكدتُ أحتضنه بدوري.

استيقظت أرتعش في فزع ومازال على وجهي شبح ابتسامة، وجنتي ملتهبتان وتشع منهما حرارة غريبة، مازالتُ أشعر بوجود حسن واسمع طنين هاتفي، لوهلة أغمضت عيناي اعتقادًا مني

أنني مازلت أحلم، ولكن بعد قليل سكنت الأصوات من حولي عدا رنين هاتفي لم يتوقف.

عدتُ لأرض الواقع وأمسكت الهاتف اتفحص رسائلي الواردة، أكثر من ثلاثة وعشرون رسالة من محادثة جماعية في *الواتساب* تجمعني بوسام ورنا، لم يمر على لقائنا سوى عدة ساعات فقط، ماذا الذي حدث لكل هذا الإزعاج!

قرأت الرسائل بعين نصف مغلقة، حاولت أن استجمع قوى عقلي بالكامل؛ لترتيب الكلمات واستيعابها بالشكل الصحيح، وتداركت بعد دقائق ما حدث، وسام قررت إعطاء كريم فرصة، وقررت الاعتراف بأنها بالفعل معجبة به، كدت أرقص من السعادة أقيمت الأفراح في قلبي وتدخلت في الحوار بكامل تركيزي وسعادتي متناسية أي دموع ذرفتها منذ ساعات قليل.

بدأت بإرسال أغنية "يا دبلة الخطوبة" ومن هنا بدأ الضحك والمزاح، لم يكترث أي منا لمشاعر تلك المسكينة التي وهبت قلبها لكريم بدون مقابل، وجعلت من حبها كبش فداء لنسيان آلامه في حب وسام، ودمرت أحلامها بكلمة واحدة من وسام الآن.

الفصل الثاني عشر.

19 نوفمبر 2016

بجسدٍ محطم ورأس تصرخ من الألم عانيت لأُسكت تأنيب ضميري، ذهبت للجامعة في الصباح، لم استوعب أي شيء من المحاضرة ولم يشغل تفكيري سوى متى تنتهي وأخرج من المدرج، وبعد ساعة ونصف أخيرًا خرجت متوجهة لأقرب كافيتريا؛ لإحضار طعام يخمد صرخات معدتي الجائعة.

تلقيت عدة رسائل من كريم يخبرني أنه في الجامعة ويريد رؤيتي بأقصى سرعة ممكنة، خلف مبني *تجارة إنجليزي* بعد إنتهائي من الأكل وجدته جالس على أحد الأرصفة ممسكًا بالهاتف.

- أيه يا عم واللهِ دَ الواجب إننا نحتفل مش نقعد على الرصيف لوحدنا كدَ!

- ملحوقة متقلقيش، أنا كنت عايز أكلمك في حاجة مهمة.

- خير في حاجة ولا إيه!

- هو أنتِ بقى في حد في حياتك يا سما؟

- حد في حياتي أنا! لا أنا حكيت لك إللي حصل مع حسن وبس مفيش حاجة تانية، ليه بتسأل؟

- متأكدة؟

- أيه الأسئلة دِ يا كريم أنا مش فاهمة حاجة، هو في إيه؟

- هقول لك إللي حصل عشان أنا كمان مش فاهم حاجة، بعد ما وسام قالت لي إنها موافقة ترتبط بيا، أنا مكنتش مصدق نفسي، ومن فرحتي كلمتك وقلت لك إللي حصل بالظبط وبعدها بيومين أتصلت بحسن عشان هو كمان كان عارف إني بحبها، المهم إني سألت عليه عامل ايه والكلام جاب بعضه، وسمعت منه كلام غريب عشان كدَ كلمتك قلت أفهم منك.

- كلام غريب إزاي!

- حسن فاكر إن بقى في حد في حياتك يا سما، وشايف إنه مش فارق معاكِ أنا استغربت كلامه بصراحة قلت له إن الكلام دَ مش صح وأنا عارف إنك لسه بتحبيه أصلًا، بس لما قالي إنه شافك بعينه مقدرتش اتكلم وقلت أجي أفهم منك أنتِ أحسن، يمكن في حاجة حصلت وأنا معرفهاش.

هربت الدماء من اطرافي إلى قلبي؛ لتهدئة نبضاته، أصيب تفكيري بشلل جزئي في هذه اللحظة، تألم صدري كأن أحدهم ضرب قلبي برصاصة وهرب، للوهلة الأولى لم أدرك بالضبط معنى كلام حسن، ولم أفهم متى رآني بعينيه وكيف تأكد من ارتباطي! مِن أين آتته هذه الأفكار عني وكيف له أن يصدق أنني تخطيته بهذه السهولة!!

عجز لساني عن التعبير ولم أحاول تبرير موقفي لكريم، لم استطيع سوى أن اقسم له بأن لا شيء مما يقوله حسن صحيح.

****

شربت كوبين من القهوة ومازال رأسي يدور وأنا جالسة في المقهى بعدما تركت كريم، كنت أترنح كشارب الخمر، لا أدري كيف قطعت المسافة بين الجامعة والمقهى، كأنني في عالم آخر لا أسمع فيه سوى أنفاسي ودقات قلبي وصوت عقلي الذي لا يصمت أبدًا، وقبل وصولي بدقائق ارسلت رسالة لرنا ووسام أخبرتهم أنني في إنتظارهم في المقهى وأريد رؤيتهم في الحال.

امسكت مذكراتي وحولت ما يقرب من عشر صفحات إلى سواد دامس بحبر قلمي، كانت الكلمات تخرج واحدة تلو الأخرى تلقائيًا بدون ترتيب، دونت كل حرف يدور في رأسي، كتبت أسوأ ظنوني واستنتاجاتي مما حدث، ثم أنهيت كلماتي بأسطر ذرفت دمًا، وأنا أسطرها وطويت مذكراتي المنتهكة ودفنتها بداخل حقيبتي وانتظرت قدوم رنا ووسام.

"ليت كان تخطيه سهلًا لهذه الدرجة، لو استطيع نسيانه ومحو ذكرياتي معه من عقلي، لو أمسح من مخيلتي نظراته وابتسامته، لو انتزع حبه من داخلي وأنسى رعشة جسدي حين كنت ألقاه، لو تنسى رئتاي رائحة عطره، لو أفكر في مستقبلي بدونه وأرسم خطط لحياتي بعده، لا أعلم ماذا قيل له عني وكيف أصبحت سيئة في نظره، ولكن أتمنى لو قسوت على قلبي وأصبحت يومًا كما

يراني، حسن يعذب قلبي ببطء كل يوم، يتخلى بسهولة ويهجر لشهور ولا يعطيني حق التوضيح وكردة فعل مني أحبه أكثر."

- مش لازم تطلبوا حاجة دلوقتي أنا عايزة أحكي لكم الأول: إللي حصل *حسن* فاكر إني عايشة حياتي والدنيا تمام من بعده لا وإني ارتبطت كمان، مش عارفة إزاي الكلام دَ حصل، أنا هتجنن ومحتاجة أعرف مين قاله عني كدَ!

كلماتي الحادة ونبرة صوتي المنفعلة جعلت من حولنا يلتفتون إلينا؛ فتمالكت نفسي وحاولت خفض صوتي قدر المستطاع، نظرت إلي رنا ووسام استجوبهم في غضب، نظرات التعجب على وجوههم غير مستوعبين الكلام اجابتني قبل أن تفعل ألسنتهم، ثم ردت رنا تستفهم اكثر:

- أيه إللي بتقوليه دَ! وعرفتي الكلام دَ منين أصلًا، هو أنتِ كلمتي حسن!

- لا ومش هيفرق عرفت إزاي ومنين، المهم إني عرفت وواثقة من إللي بقوله وسؤالي محدد مين فيكم بيتكلم مع حسن!

- واللهِ أبدًا دَ أنا مش بكلمه خالص من شهور وأنتِ عارفة.

- متأكدة؟ أفتكري كويس يمكن كلمتيه وناسية.

- أنا حلفت لك وعندك موبايلي أهو شوفيه، أنا عمري ما خبيت عنك حاجه يا سما، وأيه مصلحتي في إني أعمل كدَ من أصله؟

- طيب وأنتِ يا وسام؟

تكونت قطرات العرق على جبهة وسام، وراحت تفرك يديها ببعض وأحسستُ بإضطراب أنفاسها، ابتلعت ريقها وهي تهرب نظرها بعيد عن عيني في توتر، حثتها رنا على الحديث قائلة في انفعال "أنتِ إللي قولتي له كدَ يا وسام؟" فردت وسام مستنكرة

- انا مقولتلوش حاجة، أنتن عارفين إني بكلمه بس كلام قليل عادي، ومش بنتكلم عنك أصلًا يا سما

- أُمال مين إللي بيقول له الكلام دَ يا وسام! محدش يعرف عني حاجة وقريب مني وفي نفس الوقت يقدر يتكلم مع حسن غيركم، وهو ماكنش هيصدق الكلام دَ إلا لو اتقاله من حد هو واثق فيه.

- أنتِ بتزعقي وصوتك عالي كدَ ليه، ما تشوفي هو إزاي بيتخلى عنك بسهولة وبيصدق عنك أي كلام حتى لو شافك بعينه مع حد ثاني كان المفروض يواجهك ويسمع منك مش يستسهل إنه يسيبك

- بس أنا ماقولتش إنه شافني يا وسام!

هدأ الكون لعدة ثواني، صاعقة من السماء نزلت علينا جميعًا وصمتنا للحظات؛ كي تستوعب عقولنا ما يقال، صديقتي لأكثر من ألف ليلة، لم أتخيل أبدًا إنها ليالي خادعة، علاقتنا المتينة انهارت ببساطة ودُمرت بإستسلام أمام موقف واحد رأيته بعقلي، بعدما مُسحت الغشاوة من عيني هذه المرة، وأدركت معناه أخيرًا.

حاولت جمع فتات قلبي وإعادة ترميم علاقتنا، انتظرت أي تبرير أو عذر لم أتمكن من فتح فمي، أمسكت رأسي بكلتا يداي خوفًا عليها من الانفجار، ساعدتني رنا واستلمت راية الحديث:

- أنتِ بتقولي شافها! شافها مع مين، وسام وضحي إللي حصل بسرعة فهمينا قبل ما نفهمك غلط، اتكلمي متفضليش ساكتة كدَ!

لم تنطق ولم تبرر، لم تعطيني سبب واحد لأعذرها، تحاملت على نفسي ورفعت يدي بثقل وأمسكت يدها كمحاولة أخيرة في إعطائها فرصة الكلام وتصحيح المفاهيم التي يستنتجها مخي وقلت:

- وسام، فهميني أيه إللي حصل، أنتِ بجد عملتي كدَ! طب ليه! دَ أنتِ شوفتي أنا تعبانة من غيره إزاي وعارفة أنا بحبه قد أيه! ليه تكذبي عليا وعليه وتدمري إللي بينا أكتر ما هو متدمر، قولي إنك معملتيش كدَ فهماني؟

- أقولك إيه! وأفهمك أيه! وهو مين فيكم كان فهمني؟

- فهمينا دلوقتي، عملتِ فيا كدَ ليه؟

- طول عمرك شايفة إن حبكم لا يمكن ييجي زيه، زي ما تكوني أول واحدة تحب في الدنيا، مع إنه كان كتير بيستغلك ومش بيقدرك، وعمره ما كان واثق فيكِ وفي حبكم، بس أنتِ عمرك ما خدتي بالك، أنا من يوم ما جيت أتكلم معاكِ عشان أعرفك عليه يا سما وأنا مجرد وسيلة تواصل بينكم، أيوة أنا إللي قلت له إنك ارتبطي، بس أنا عملت كدَ عشان مصلحتك.

- أنتِ مش هتهمك مصلحتي أكثر مني، دِ مصلحتي أنا، ودِ حكايتي أنا، مش من حقك تقرري عني، أنا إللي أقول هبقى كويسة من غيره ولا لأ.

- بس هو سابك أكثر من مرة وكمل حياته عادي، صدقيني حسن أناني كان عايزك في حياته عشان أتعود عليكِ مش أكثر، أنا عارفاه كويس

- أنتِ طلعتِ مش عارفة حاجة خالص، هو أنا مصعبتش عليكِ، أنتِ شوفتيني تعبانة وسبتيني عادي ودلوقتي بتعاندي وبتبرري إللي عملتيه فيا! أنتِ واحدة رضيتي بقهرتي وزودت عليا كمان، من النهاردة مش عايزة أعرفك ثاني يا وسام.

أمسكت هاتفي وحملت حقيبة يدي ووقفت بعصبية أستعد للرحيل، سحبت يدي بعنف من رنا التي حاولت منعي وهي تتلعثم ببعض الكلمات الغير مفهومة لتهدئة الموقف، ولكن بلا جدوى لم تكن هناك قوة على الأرض قادرة على إيقافي هذه اللحظة، كانت نيراني قادرة على إحراق كل شيء يقف في طريقي.

يكفيني اليوم ما تحملته يكفيني صدمات وخيبة، وددت لو رحلت من الحياة كلها ليس مجرد المقهى، تركتهم وما إن إبتعدت عن الطاولة خطوة واحدة متوجهه للباب حتى رنت في أذني جملة لم أتوقعها إطلاقًا.

- بحبه يا سما

أغمضت عيني لوهلة، تمنيت لو كان هذا كله غير حقيقي، من المؤكد أنني أعيش كابوس وسينتهي في الحال، فتحت عيني والتفت لوسام ورأيتها تنظر إلي نظرة أكدت لي صحة ما سمعت، سكتت الأصوات من حولي وتجمدت قدمي في مكانها وبدأت سُحُب سوداء تظهر أمام عيني تخفي ملامح وسام تدريجيًا، سكتت الأصوات فجأة من المقهى، وهرب مني دفء جسدي وطاقته ولم أعد أشعر بأي شيء، انهارت قواي فجأة وسقطت على الأرض.

الفصل الثالث عشر

28 نوفمبر 2016

كل شيء من حولي مُنهك ورائحة الإحباط تحاوطني من جميع الاتجاهات، فاض الخراب من داخلي وانعكس على غرفتي المسكينة، لم أكن وحدي المحطمة، كسرت مرآتي أيضًا وتحولت لفتات في حادث لم يكن يستدعي هذا الكم من الدمار إطلاقًا، يبدوا أنها لم تحتمل ذبول وجهي ونظراتي البائسة، وكأن الماضي كان مجرد ندوب والحدث الأخير كان بمثابة الطعنة القاتلة.

آلفت الهدوء أكثر من أي وقت مضى، نبذت العالم الخارجي وعدت لوحدتي أغلقت على نفسي باب سجني ولم أغادره سوى لقضاء حاجتي أو شرب بعض الماء، إضاءة غرفتي لم تكن ذات أهمية كبيرة: فالظلام ينبعث من داخلي، ولم أسمح لأي شخص بالتحدث إلي منذ أيام مهما كانت أسبابه، أغلقت فمي وتجنبت المناقشات وكلمات العتاب واللوم.

لا أدري كم مرة حاولت رنا التواصل معي وأغلقت في وجهها جميع الطرق، لم أطيق التحدث حتى في الهاتف ولا أعلم كم مرة توسل إلي هاتفي لأضعه على الشاحن ولم ألبي رجاءه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة في استسلام، عاقبني النوم ولم يزورني فلم تغمض لي جفن لليالي، ومع ذلك لم أفارق سريري، أستلقي عليه منكمشة وأنا أحتضن ما يؤلمني وأنتظر زوال كل شيء..

عند عودتي من الحمام أغلقت ورائي باب غرفتي المعتمة ثم بخطوات محددة حفظتها عن ظهر قلب وصلت لطرف السرير، وما إن جلست حتى شعرت بحركة غريبة بجانبي ثم سمعت صوت مفاجئ انتفض بسببه جسدي كله:

- بقى ينفع كدَ أدخل أوضتك زي الحرامية؟
- أنتِ إزاى دخلتي هنا! أمشي يا رنا مش عايزة أشوف حد.

- لا دَ أنا ما صدقت دخلت الأوضة ومش هخرج، أنتِ عارفة أنا جيت كام مرة ومش بترضي تخليني أشوفك دَ أنا مستنياكِ تدخلي الحمام بقالي ساعة!

- محدش قالك تعملي كد.
- سما أنا مش عارفة أشوفك بقالي أكثر من عشر أيام، أيه اللي حصل لكل دَ؟

- محصلش حاجة أنا اللي أوفر، اتفضلي أمشي بدل ما أضايقك يا رنا.
- خلاص متتعصبيش همشي بس عايزة الأول أقولك إن أنا كلمت حسن.

- نعم، ليه! أ،وعي تكوني قولتي له حاجة!!

- عايزاني أحكي لك قلت له أيه يبقى لازم تسمعي كل إللي عايزة أقوله مش إللي على مزاجك بس.

كانت تعرف نقطة ضعفي وتبدع بشكل لا يصدق في استغلالها، تعرف أنني لم أكن أبدًا إمرأة فضولية ولكن مع حسن لا أستطيع التحكم في الأمر، ضغطت مضطرة على أعصابي وسمحت لها بالكلام ولكني لم أتفوه بكلمة واحدة، لم أعلِق ولم أحاول فتح باب للنقاش مهما حاولت استفزازي بكلماتها وأسلوبها، أردت الوصول للقسم المرغوب سريعًا.

هراء كان حديثها عن وسام، كان كل حرف تنطق به ويقع على أذني بمثابة نكتة سخيفة يسخر منها عقلي ضاحكًا، بدأت توضح موقفها وكيف أنها تحبني ولكنها عاشقة لحسن من قبل معرفتي به، شرحت أسبابها ومبرراتها وكيف أنها تعاني منذ زمن ولم تجد من تشاركه أبدًا هذا العذاب، والآن يقتلها عذاب ضميرها كل ليلة بسببي! كيف أنها كانت ممزقة الأطراف دومًا بيني وبين حسن، كما أنها حاولت مرارًا أن تتجاهل مشاعرها وتدفنها بداخلها ولكن قلبها أبى، وخيل لها أنني إذا خرجت من حياة حسن ستكون لديها فرصة أكبر، وفي لحظة ضعف لم تخطط لها فعلت ما فعلته.

- إيه رأيك؟
- قولتي إيه لحسن يا رنا؟
- أنتِ مكنتيش سمعاني ولا أيه؟

قولي لي رأيك في كلامي يا إما همشي ومش هتعرفي أيه إللي حصل

- معنديش كلام أقوله عشان مش مقتنعة بولا كلمة مِن إللي قولتيها.

- ليه! إللي بيحب بيبقى زي المجنون وعايز يعمل أي حاجة عشان يبقى مع إللي بيحبه، وسام طول عمرها بتقول إنها مش بتفكر في الارتباط وبتتلكك بالدراسة والهبل دَ، محدش فينا جه في دماغه إنها ممكن تكون فعلًا بتحب حسن ومش قادرة تقولنا.

- حطي نفسك مكانها إللي بحبه بيحب صاحبتي وصاحبتي بتحبه، يعني علاقة من طرفين انا مش فيهم يبقى أبوظها ليه! لا يا رنا أنا لو مكانها مش هعمل زيها واخون أقرب الناس ليا، طب لو مش عشاني أنا يبقى عشان صاحب عمرها.

- دَ كلام عشان أنتِ مش في نفس الموقف وعمومًا أهي غلطت وخدت جزائها ودلوقتي ندمانة أوي واللهِ.

- رنا أحكي إللي حصل مع حسن ومتختبريش صبري أكثر من كدَ

رنا تعرفني حق المعرفة، وتدري أن لصبري حدود وإن طال، لم تتجرأ أن تضغط على الزناد أكثر خوفًا من رد فعلي، كانت لحظة

واحدة تفصلني عن طرد رنا وعدم الاستماع إلى كلمة أخرى منها، اشعلت إضاءة الغرفة وتلقائيًا أغلقت عيني في انزعاج لعدة ثواني، ثم رجعت لمكاني على السرير ورفعت يدي مشيرة لرنا ببدء الحديث:

- كلمته سلمت عليه وبكلام من تحت لتحت قلت إن أنتِ سينجل وحياتك نيلة من بعده بس معرفتوش حاجة عن وسام خالص، وخدي المفاجأة بقى هو إللي حكى لي.

- حكالك عن وسام! هو عارف إنها بتحبه؟

- ما هو عشان يأكد لي إنك ارتبطي قالي إنه شافك مع واحد واضطر يحكي لي، قالي إن وسام لمحت كذا مرة ومن زمان إنها بتحبه وهو كان بيكذّب نفسه، وبعد ما كانوا بيتكلموا قليل رجع كلامهم زاد في الفترة إللي فاتت، ووسام قالت له انك ارتبطي بقى لما اعتر فتله بحبها وهو قال لها إنه بيحبك أنتِ وإن مشاعره ناحيتها مش كده وإنهم مجرد اصحاب، واتخانق معاها طبعًا؛ عشان شك في كل حاجة كانت بتقولها عنك وإنها كانت بتحاول تبوظ بينكم، وإن أكيد أنتِ مش ناسياه ولا ارتبطتي بالسرعة دِ، ساعتها هي انهارت بقى وحست إن كل حاجة بتضيع منها فقالت له هتلاقي سما مع واحد في النادي وقالت له المعاد كمان وشافك.

- العريس!

- ساعتها اتأكد إن كلام وسام صح، بس مع ذلك مش وافق على إللي هي عايزاه وبدأ كلامه يقل معاها بالتدريج؛ وبكدَ هي خسرته حتى كصاحب

- وخسرتني أنا كمان يا رنا، عشان في النهاية هي وصلت للي هي عايزاه وبتحاول تعمله من زمان ودمرت علاقتي بيه.

- لا هي كانت متدمرة أصلًا يا سما، كلام وسام مش هيمنع حقيقة إن حسن كان راجع عشان تبقوا صحاب ومش ناوي على حاجة تانية.

- الله أعلم بقى وسام قالت له أيه ومِن أمتى وهي بتحشر في دماغه حاجات من ناحيتي.

- وسام غلطانة بس بلاش تشيليها ذنبك أنتِ وحسن وتطلعوا أنتم الضحايا عشان الحكاية مش كدَ، وسيبك من كل دَ أنا كنت هنسى أهم حاجة عايزة أقولها لك، وسام حددت معاد خطوبتها على كريم.

- كريم!

كريم، المسكين كريم اشفقت عليه من الخدعة التي يعيش فيها الآن، تلك الجنة الوهمية والأحلام الوردية التي أبدعت في رسمها وسام، وتلك القصور التي انشأتها بدون أعمدة.

ما الذنب الذي اقترفه ليصبح ضحية لوسام وكذبها، ليتم التلاعب به وبمشاعره بهذا الشكل المهين ويصبح مضمون لا مرغوب، مجرد أداة تسلية في يد وسام.

29 نوفمبر 2016

لم أحتمل الصراع الذي يدور بداخلي وغليان دمائي لأكثر من يوم واحد، انتظرت بفارغ الصبر حتى أشرقت الشمس ودقت الساعة التاسعة وبدون تردد سحبت هاتفي من الشاحن وأيقظت كريم، اخبرته أنني اريد رؤيته وأكدت عليه ألا يخبر أحدًا بهذا اللقاء، و لم أعطه فرصة للاعتراض، أمشي كضابط خرج في مهمة سرية، بخطوات مستقيمة ترجلت في تلك التقاطعات المكتظة في شوارع الدقي، نظراتي طلقات نارية مندفعة أصيب بها كل شيء تلمحه عيني، كأنني في ساحة معركة لم أرى سوى نيران متطايرة من حولي، كان عقلي يلقنني بدقة شديدة الكلمات التي سأقولها، كنت ولأول مرة أشعر بأنني الجاني والمجني عليه في نفس الوقت.

- سما

اخترق أسمي ضوضاء رأسي وانتفض قلبي بشدة وارتبكت دقاته، وجدت نفسي أضع يدي على صدري خوفًا من خروج قلبي من بين أضلعي أعرف هذه النبرة جيدًا حتى صوت وقع هذه الأقدام على الأرض أعرفها، وكذلك الأنفاس المشبعة بدخان السجائر التي تقترب مني الآن لطالما شعرت بدفئها ألتفت إلى مصدر الصوت وأنا أرتجف.

هذه هي الصدفة التي لم أتوقعها ولم اتمناها أبدًا، صدفة افقدتني هيبتي في لحظة وأطفأت ثورة قلبي وزلزلت كياني، شعور لا يوصف تملكني حين رأيته مقبل، لم أتحمل النظر إلى عينيه،

لم أكن أريد رؤيته ولا سماع صوته ولا مواجهته الآن، لا أريد التحدث معه ولو للحظة.

- عاملة أيه؟
- الحمد لله.
- أنتِ رايحة فين كدَ؟

- هقابل كريم
- في الكافية برضه! طيب أنا عايز أتكلم معاكِ شوية لو ينفع
- مش عارفة
- أنا عندي مشوار شغل هخلصه بسرعة واجيلك على الكافية على طول، أوعي تمشي.

قال كلمته الأخيرة ورفع يده يودعني ثم غاب عن نظري، بكلمات واثقة وسريعة إفترض موافقتي على طلبه ورحل، أكملت طريقي للمقهى بخطوات بطيئة وأنا في حالة ذهول و قد تبدل حالي، أين ذهب انفعالي وحماسي الذي كان من دقائق فقط! جلست أمام كريم وخيم الصمت على المكان إلى أن قطعه كريم.

- أنا قلت هلاقيكم متجمعين ونحتفل بقى، عشان كدَ سمعت كلامك ومرضتش أقول لوسام واخرب المفاجأة.

- معلش يا كريم خيبت ظنك

- في أيه أنا بهزر يا بنتي عادي، مالك أنتِ كويسة؟

- أه تمام بس شوفت حسن وأنا جاية فاتوترت شوية.

- طب هو فين أسلم عليه، اخليه ييجي يقعد معانا وتتكلموا شويه لو عايزة؟

- لا طبعًا مش عايزة ومش دَ الموضوع إللي أنا عايزة أتكلم معاك فيه أصلًا.

- خير يا سما في أيه؟

- جايز يبقى سؤال غريب بس هو أنت مبسوط مع وسام يا كريم؟ متأكد من حوار الخطوبة دَ؟

كانت دائمًا نظرتي للمشاعر والعلاقات العاطفية مختلفة عن وسام ورنا، مهما ظنوا أنهم أحبوا وتفانوا في حبهم لم تلمع أعينهم وتتطاير الفراشات في قلوبهم، لم يسلموا أنفسهم وجوارحهم بدون شروط لهذا الحب، لم تحرقهم نيران الغيرة ولم يؤلمهم الاشتياق يومًا كما آلمني.

لكن ما رأيته أمامي من كريم كان مختلف، كان شيء لم أعهد أن أراه كثيرًا شيء رأيته لمرة واحدة فقط من قبل في حسن، كانت أعين كريم تتحدث قبل فمه، ابتسامته الواسعة وتورد وجنتاه أمامي جعلتني أشك في كل شيء، عيناه لمعت في فرح عند نطقي لأسم وسام، كانت يداه تحتضن بعضها البعض على الطاولة

وهو يخبرني بمدى حبه لها وسعادته بهذه الخطوة، و انفجرت اساريره وهو يخبرني أنه أخيرًا أصبح بإمكانه أن يعلن عن حبه المدفون بداخله منذ زمن، انخفض صوته وضحك في خجل وهو يقول أن وسام بدأت بمناداته "بيبي".

نظرت إليه وهو يتحدث واختنقت كلماتي وشعرت بالعجز وقلة الحيلة، حالته التي أراها لم تترك لي مجال للكلام، يصعب علي هدم أحلامه بيدي أردت اخباره بحقيقة الوهم الذي يعيش فيه، ولكن كلماتي المجهزة رفضت كسر فرحته وهدم أحلامه وقلبه المسكين.

- ليه السؤال دَ بقى! سما يا بنتي أنتِ معايا!

- أيوة، معلش سرحت منك، لا عادي أنا كنت عايزه أطمن عليك واتأكد إك مش متسرع

- تسرعت إيه أنا بقالي سنين مستني وأنتِ أكثر واحدة عارفة، مش دَ السبب اعترفي في أيه؟

ابتلعت ريقي وأنا أحاول العثور على أي مخرج من هذا الموقف، تبخرت جميع الأفكار من رأسي ولم أستطع الإجابة عليه رأسي فارغ تمامًا!

لا أجد الآن إجابة تبدو مقنعة لكريم وتدخل القدر هذه المرة من أجلي...

فجأة وقف كريم وبدأ يصافح حسن بحماس، اخفيت وجهي بيدي أتمنى إختفائي من على وجه الأرض، وبعد دقائق معدودة أستأذن كريم وتركني على الطاولة أجلس مع حسن بمفردي.

الفصل الرابع عشر

لطالما كانت الحروف والكلمات تجيد التعبير عن المكنون، وكم تعددت القصائد والروايات وتنافست في إظهار المشاعر، كنت دومًا أبلغ من تحدث عن مشاعره وأفاض في التعبير مع حسن كنت أعزف ألحان النشوة والعشق والسعادة بكلماتي أحيانًا، أو أنعي آلامي وأوجاعي بكلماتٍ مقهورة أحيانًا أخرى، ولكن ها هو يجلس أمامي اليوم ولا أستطيع التلفظ بكلمة واحدة، كان الصمت لغتي ونظرات عيني هي كلامتي.

سألني عن حالي وكأنه لا يعلم الإجابة مسبقًا! لم أعلق وما الفائدة من إجابتي ألم يخبره مظهري بالرد المناسب! ألم يلاحظ إرهاقي ونقصان وزني!

ألم يرى الهالات السوداء أسفل عيناي! ألم يدرك آثار الغربة والوحدة على روحي! ألم تخبره ملامح وجهي بأنني حقًا منهكة!

- أنا عارف كل إللي حصل بينك وبين وسام، بصي مش هقول لك إن وسام مش غلطانة بس هي ليها أسبابها، جايز أنا مش هقدر أتعامل معاها براحتي ثانيتًا بس أنتِ وهي صحاب بلاش تخسروا بعض بسببي.

أهذا حقًا ما أراد الحديث معي بشأنه، وسام! رفعت إحدى حاجبي استنكر قوله وابتسمت بسخرية ابتسامه تداركها حسن سريعًا، وعرف ما يدور بذهني كعادته؛ فاعتذر ووضح كلامه أكثر:

- مقصدش بسببي، أنا عارف إن إللي عملته دَ وحش في حقك بغض النظر عني كحسن، بس كلنا بنغلط وهي كل إللي عملته إنها اعترفت بحبها بس كدَ.

- لحبيبي!

خرجت هذه الكلمة مني بانفعال مبالغ فيه، حتى أنني اندهشت من نفسي وأنا أُشير بإصبعي السبابة على قلبي وأقول حبيبي بهذه الثقة، تلاقت عيناي بعينيه وشعرت بخفقان قلبي يزداد كأنني أراه لأول مرة، وقبل أن أغرق في نظراته ويتملكني الارتباك وتسلب مني ارادتي لمحت شبح ابتسامة على وجهه، ابتسامة افاقتني من غيبوبة كدت أدخلها، ابتسامة غريبة لم أتمكن من فهم معناها!

- دلوقتي حبيبك يا سما

- مش فاهمة قصدك إيه؟

- شه،ور متعرفيش عني حاجة مفيش فرق سواء أنا موجود في حياتك أولًا، ويوم ما جيت على نفسي ورجعت أكلمك رفضتي وبعدتي عني بمنتهى السهولة، بعتيلي رسالة ومكلفتيش خاطرك حتى تستني ردي متقوليش دلوقتي حبيبك.

لم أفهم متى كان الخطأ خطأي أنا!

كيف أكون المذنبة وأنا اكثر من ظُلِم في هذه الحكاية! من منا كان الراحل! ألم يكن هو؟

كل شيء كان واضح للغاية ولكني أخترت ألا أصدق، راجعت الأحداث التي لم تفارق ذاكرتي يومًا وتذكرت تفاصيل انفصاله عني ورجوعه البارد و تبريره السخيف، مر كل شيء أمام عيني كأنه البارحة، ورغم ثقتي أنني بريئة من اتهاماته المبهمة، لم استطع ترتيب كلماتي والتفوه بأي شيء.

- مش مهم الكلام دَ أنا مش جاي أتكلم معاكِ في إللي كان بينا، أنا بس مش عايز وسام تخسرك هي متستاهلش كدَ، فكري تسمعيها وتعذريها أنا لازم أمشي دلوقتي عن أذنك.

- أستنى يا حسن

- عايزة أيه؟

-أنا مكنتش عايشة حياتي، أنا حياتي وقفت من ساعة ما أنت سبتني، مش عارفة إزاي أنت شايف غير كدَ!

- متحاوليش يا سما، أنا اديت لك فرصة إننا نرجع نتكلم وأنتِ ضيعتيها مش هقدر أجي على نفسي ثانيتًا.

- تيجي على نفسك عشان ترجع تكلمني كصحاب!

بدأت تتساقط كلماته وتنهال كصفعات قوية على وجهي، أخبرني بما يكتمه في صدره من سنين وأنا كالمغيبة لم أشعر به ولم أعلم عنه شيئًا، ذكرني بأحداث بدت لي طبيعية وتلقائية، ولكنه كان يراني فيها الجاحدة المتمردة عليه وعلى علاقتنا!

بدأ من انعدام ثقتي فيه ورفضي للزواج منه وانتهى عند رسالتي الأخيرة له وأحداث أخرى تناسيت وجودها ولم أتوقع أن تثير غضبه لهذا الحد! ولكنها أصبحت كذلك ببعض اللمسات البريئة من يد وسام.

- قبل ما اسيبك يا سما كنت حاسس إنك بعيدة عني، حتى لو أتكلمنا بيبقى كلامنا ممل، وكنتِ بتسبيني بالأيام عادي متعرفيش عني حاجة ولا أنا أعرف بتعملي أيه من ورايا، ما كنش بسبب دراستك وشغلي وبس.

- أومال كان ليه يا حسن!

- إسألي نفسك أيه كان بينسيكِ وجودي، ولما رجعت و قلت لك محتاج لك كان ممكن تديلي فرصة بس أنتِ ركنتِ مشاعرك على جنب وفكرتي في الأهم إن في عريس مناسب.

سكت للحظة وبدأ يراجع ما قاله وبدأت ملامحه تذبل كأنه إنصدم من تلك الكلمات التي خرجت من فمه، ثم نظر إلي بنظرة ندم قائلًا:

- سما أنا ماكنتش عايز أقول الكلام دَ كله بس طلع غصب عني بقى

- رنا قالت لك إن العريس إترفض خلاص.

- متأكدة! مش يمكن بعد شوية تحددي معاد الخطوبة؟

نظرت لحسن اتفحص وجهه بدقة، بدا لي غريب لم يكن هو نفسه الذي وقعت في حبه من النظرة الأولى، كانت ملامحه المثالية لم تتغير ولكنه رغم ذلك قد تغير بالكامل!

هذه ليست كلماته ولم تكن هذه يومًا نظراته، لا هذا ليس حسن هذا البرود والفتور غريب عنه!

- أنا رفضت العريس ولو كنت أعرف إنك راجع عشان لسه عايزني كنت ساعتها أكيد هدي لك فرصة، بس عارف الحمد لله إني مش عملت كدَ

- الحمد لله!

- أه الحمدلله مستغرب ليه عادي ما تصدق المرة دِ كمان إن أنا بتخلى عنك، زي ما كان دايمًا اسهلك تصدق إني وحشة بدل ما تنصفني وتثق فيا.

همست بصوت يرتجف هذه الكلمات ووقفت أستعد للذهاب، لملمت أشلاء روحي وفتات كرامتي المهانة من أثر كلماته، ثم بحثت بنظرة خاطفة في عينيه عن حسن الذي أعرفه للمرة الأخيرة ترجاه قلبي أن يتمسك به ويمنعني من الرحيل ولكنه تجاهل رجائي عمدًا!

اعتقدتُ أنني سأنهار في هذه اللحظة، ربما سيشهد هذا المقهى سقوطي على الأرض للمرة الثانية ولكن لم تتخلى عني قدماي، تركت حسن بعدما مات شيء جميل كنت أكنه له و رجت من المقهى مبتعدة، أعلم بداخلي أن هذه قد تكون أخر مرة أراه فيها، ومع ذلك لم ألتفت للخلف.

لم أؤمن أبدًا بمقولة "إن أردت شيئًا بشدة فاطلق سراحه فإن عاد إليك فهو ملك لك إلى الابد، وإن لم يعد فهو لم يكن لك من البداية. " لطالما تمسكت بحسن وأردته بشدة ولكنه تخلى، والآن ها أنا أنصرف عنه وأطلق سراحه ولكن ليس رغبة به وإنما زهدًا و فقدان أمل.

لم تدمع عيني ولم أشعر برغبة في الصراخ، وكأنني فقدت القدرة على البكاء ولم يعد انهياري يجدي نفعًا، كان تفكيري مشتت وغير متزن تمامًا كخطواتي التي تعصف بي يمينًا ويسارًا.

ألهذه الدرجة كانت علاقتنا ركيكة!

بمنتهى البساطة يتطاير أمام الرياح العاصفة كأوراق شجر الخريف كل إحساس شعرت به مع حسن كان مجرد خدعة! وكل لحظة دونتها في مذكراتي باتت سراب!

تلاشت علاقتنا وكأن شيئًا لم يكن، لقد دمرني التفكير ولم أجد أبدًا مصطلح يليق بما حدث بيننا، كيف تسللت الغربة لعلاقتنا هكذا! كيف انهارت ثقتنا فجأة!

لم أشعر بنفسي إلا عندما وصلت للمنزل، في الطريق كنت أتحرك بآلية غريبة ولم أشعر بالتعب، لا أدري كم مر من الوقت حتى وصلت من الدقي لمنزلي، ولكني كنت أتسأل من أين أتيت بهذه القوة العضلية التي تمكنني من المشي هذه المسافة الطويلة، أكانت تدفعني أقدامي الضعيفة أم كان كبريائي وغضبي هو محركي؟

ارتميت على السرير كجثة هامدة ودفنت وجهي في وسادتي، اكتم أنفاسي المقهورة وأتمنى أن تقف دقات قلبي المؤلمة في هذه اللحظة، بعد دقائق انتبهت لاهتزاز هاتفي بجانبي، فأمسكته عسى أن يكون حسن المتصل متناسية أن هذا من المستحيل، تمنيت في استحياء أن يكون راجع نفسه وأفاق من ضلالته وقرر عدم خسارتي.

لو يعتذر ويقول مبرر مقنع لما حدث، لو يقول كنت أمزح ولم أكن في وعيي ربما كنت سامحته، ولكن هُدِمت أمنياتي للمرة الألف عندما نظرت للهاتف ورأيت أسم المتصل، فلم أتردد وأجبتُ على الفور.

- أيوه يا رنا؟

- أيه دَ رديتي من أول مرة دَ أنا هعمل فرح!

- بقولك أيه لو فاضية تعالي عندي عايزة أتكلم معاكِ شوية.

- خير، نصاية وهبقى عندك.

أشعر بالغرابة والإحباط، لا أرغب بفعل شيء تبلدت مشاعري الدافئة واختفى من داخلي الحنين، صرت أسرد لرنا ما حدث دون أن ترتجف يدي أو تضطرب دقات قلبي، لم تنهمر دموعي رغم عني، ولم تخذلني أحبالي الصوتية وتنقطع كالمعتاد وسط الكلام، لم أشعر بغصة مطلقًا وأنا أتوجه بحديثي لكريم وما نويت فعله به منذ أمس، وأخيرًا تملكني البرود وأنا أُخبرها بكلام حسن إلي.

- أنتِ بجد كنتِ هتقولي لكريم؟

- هو دَ بس إللي لفت نظرك في كلامي، أه عادي كنت عايزة أقوله بصراحة يا رنا بدل ما يلبس في واحدة زي وسام طول عمره.

- مش دَ إللي لفت نظري يا سما، طريقتك كلها غريبة!

- اشمعنا!

- هادية كدَ ومش بتعيطي ولا منهارة مع إن إللي حصل مش قليل، أنا توقعت إنك هتكلمي وسام تتخانقي معاها أو هتعلي صوتك على حسن وتهزئيه قدام الناس مش بس كلمتين وتمشي.

- مش دَ إللي كلكم عايزينه إنى أبقى هادية وأفكر وأقرر براحة، وأبطل أحن وأفكر في حسن وأني أشوف حياتي بقى، مش دَ إللي كنتوا عايزيني أعمله؟

- لا مش بالشكل دَ أكيد، أنتِ مش كويسة؟

- هبقى كويسة

لقد كُسِر شيء ما بداخلي جعلوني أعيد النظر مرة أخرى في طريقة تفكيري وأسلوب حياتي، أعدت ترتيب أولوياتي ووضعت نفسي أعلى القائمة، وعاهدت نفسي أن أغير من طباعي، لن يكون هناك أهم مني، إن كان هناك من يستحق ثقتي وإخلاصي فهذا الشخص هو أنا بلا منازع، وإن كان لابد من التضحية سأضحي فقط من أجل سعادتي وراحتي.

لم انتظر أبدًا مساعدة من أحد، تعلمت الاكتفاء بنفسي، واعتدت أن احتضن قلبي بعد كل صدمة أتعرض إليها، أُجيد النجاة وحدي من صراعاتي الداخلية، أعلم يقينًا أنني سأكون بخير مهما طالت المدة، حتى وإن كانت جراحي عميقة سيأتي يوم وتشفى، سأحاول الخروج من هذه الخيبة بأقل الخسائر يومًا ما سأتنفس بدون ألم وسأكون على ما يرام.

الفصل الخامس عشر

عانيت من نفسي كثيرًا وبكيت عليها أكثر ولكن هذه المرة لا أدري ما المختلف! حتى أنا لم أستوعب معاناتي ربما الأحداث كانت أكبر من توقعاتي، ربما خيب ظني في أكثر شخص وثقت به وسلمته حياتي ومفاتيح قلبي، ربما تغير حسن أو تغيرتُ أنا حيثُ: برود قاتل سيطر علي وأصبحت صامتة بطريقة مخيفة.

لم أعزل نفسي بغرفتي ولم اكتئب بل صرت أبتسم كثيرًا إذا تصادفت نظراتي مع أحد، تحول داخلي لصحراء جرداء لم ترى الماء يومًا، ذهني شارد معظم الوقت ولكنه فارغ!

أصبحت خاوية تمامًا من المشاعر والأفكار قلبي أخيرًا قام بمهمته العضوية فقط وصارت دقاته هادئة ومنتظمة كأنه لم ينكسر يومًا.

مجردة من الحياة ولكني أتنفس، تمنيت لو أتيح لي فرصة الهروب من الواقع أو الاختفاء لفترة، ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، أهملت مظهري وصحتي وقمت بمهامي اليومية التي لم تتغير أبدًا، أتوجه للجامعة وأدرس وأدخل الامتحانات أجلس في المقهى كالمعتاد، توقف كل شيء ولم تتوقف حياتي مع الأسف، قسرًا واصلتها ورغبتي فيها منعدمة وقد أختفى الشغف من داخلي، صار روتين حياتي ثابت واليوم الحالي يشبه الأمس بكل تفاصيله، وكذلك سيصبح غدًا بلا شك.

7 يونيو 2017

في الساعة الواحدة ظهرًا بينما يلهث المارة في الشارع من حرارة الشمس جلست أتأمل الأبخرة المتصاعدة من فنجان قهوتي! كانت نظرات العامل بالمقهى غريبة وهو يتأكد من صحة ما سمعة مني حين طلبت قهوة، كذلك كانت نظراته أيضًا وهو يضعها أمامي على الطاولة ولكن القهوة الساخنة لا تخضع لأي قواعد مناخية، ذلك الصداع الذي ينهش في رأسي بكل قسوة لم يترك لي مجال لطلب شيء آخر؛ فلجأت للقهوة عسى تخفف عني الألم.

- **أنا جيت أيه الأخبار؟**
- **الأخبار عندك عملتِ أيه في الامتحان؟**

- **واللهِ يا سما أنا عملت إللي عليا وحليت بس الله أعلم بقى صح ولا غلط، سيبك من الامتحان المهم إن أنا شوفت مصطفى بعد الامتحان**
- **بجد! احكي لي شوفتيه من بعيد بس ولا أيه إللي حصل!**

- **هو إللي شافني وأنا خارجة من مدرج (جـ) بعد الامتحان وجالي، طبعًا أنا مشيت وماكنتش هتكلم بس هو فضل يمشي جنبي ويقولي عايز يتكلم معايا كلمتين بالظبط، اتكسفت من**

منظرنا في الجامعة بصراحه فواقفت، أعتذر كتير أوي عن إللي حصل وقالي إنه قرفان من نفسه،

وفضل يتحايل إني أسامحه أو حتى مبقاش شايلة جوايا حاجة، وسألني في الأخِر إذا كنت هتضايق لو جه الفرح ولا عادي؟

- عمل برضو إللي في دماغه وعرف يوصلك واعتذر، طب أنتِ حاسة بإيه! كلامه ضايقك ولا تمام.

- عادي أنا مش متضايقة حاسة إنه مبقاش هاممني والغضب إللي كان جوايا في الأول من ناحيته قل وبعدين عادي ما أنا بعد إللي حصل بقيت كويسة أهو، انا قلت خليني أنا الأحسن جايز هنتخرج ومش هنتقابل تاني فقلت له خلاص حصل خير.

- كويس إنك قدرتي تعملي كدَ واللهِ.

- طيب وأنتِ مش ناوية تعملي كدَ وتسامحيهم بقى،

لم تمل أبدًا رنا من الحديث في نفس الموضوع كلما التقينا، تضغط على أعصابي منذ شهور وتحاول إحياء مشاعري مرة أّخرى تجاه حسن، غريب أمرها كانت ضد علاقتي بحسن وضد طريقة حبي له وتمسكي المريض به فجأة صارت من أنصار علاقتنا وتريد لم شملنا من جديد، لم تكن أيضًا على وفاق مع وسام وطريقة تفكيرها معظم الوقت، ماذا حدث لتقف بجانبها بهذا الشكل رغم أنها المخطئة!

- ليه عايزاني أعمل كدَ مش فاهماكِ، بجد أنتِ متعبتيش من الكلام في الموضوع دَ يا رنا!

- لا متعبتش عشان هم كل شوية يكلموني عشان ترضي تقابليهم أو تسمعيهم، أنتِ يوم ما وسام جت لك البيت قفلتي في وشها، حتى حسن لما حاول ييجي الكافية ويشوفك سبتيه ومشيتي من غير ما تسمعي منه كلمة واحدة، يا سما دِ وسام اعتذرت مليون مرة، وحسن بجد صعبان عليا ونفسه بس تصدقي إنه بيحبك ومش عايزك تضيعي منه

- وهو عمل إيه بقى عشان يحافظ عليا!

أثق فيه تاني إزاي يا رنا.

- أديله فرصة طيب متضيعيش كل الحب إللي كان بينكم دَ، وأنتِ أكثر واحدة عارفة إنه كان بيحبك وواثقة في كدَ.

- كنت، كنت عارفة، غيري الموضوع يا رنا بدل ما أمشي

- طيب أخر حاجة هتيجي الفرح؟

- لا.

- و هتتلككي بإيه المرة دِ! ولا ناوية تخربي الفرح على كريم، لا على

أيه ما تروحي تقولي له على وسام وتخربي حياته كلها بالمرة!

لا لن أفعل هذا، لقد كانت مجرد فكرة في لحظة غضب وخرجت منها بمعجزة، لقد رأيت معاملة وسام له واهتمامها به ومدى راحة كريم النفسية وسعادته معها في الشهور الماضية وربما هذا هو السبب الوحيد الذي يجعلني امتنع عن اخباره، ولكنها لديها الحق فيما تقول.

منذ ستة أشهر في الخطوبة تحججت بالكثير من الحجج التي لم تكن مقنعة أبدًا واعتذرت عدة مرات لكريم الذي تخطى عدم حضوري بصعوبة، ولكن هذه المرة لن يغفر لي غيابي.

- سما إحنا ياما حلمنا باليوم إللي واحدة فينا هتتجوز فيه وتخيلنا هنعمل أيه وهنعزم مين، دَ أحنا قررنا هنلبس فساتين عاملة إزاي كمان، و دَ مش فرح أي حد دول كريم ووسام أقرب ناس لينا، فكري كويس قبل ما تأخذي قرار هتندمي عليه بعد كدَ

- خلاص يا رنا.

- وعشان تبقي عارفة، حسن بيكلمني كتير جدًا ولو مش عايزاه ييجي الفرح قولي لي وأنا هقوله مفيش مشكلة.

- براحته عادي، أنا مقولتش إني موافقة أجي أصلًا.

ارهقني الكلام وتفاقم صداع رأسي أكثر عندما انتبهت لسرعة مرور الأيام التي تحسب من عمري، كم هرمت في الشهور الماضية! ورغم ملل الحياة وتكرار الأيام إلا أنها تمر بسرعة

أدهشتني، كنت أعتقد أنه مر أسابيع قليلة على الخطوبة ولكن من الواضح أنها شهور، والآن حفل الزفاف باقي عليه أقل من أسبوعين فقط.

شردت من رنا التي بدأت من جديد تطلب مني السماح لحسن ووسام بالتحدث إلي وبدأت أتوه في العدم من جديد، كنت حاضرة بجسدي وتظراتي ولكني أسمع الصمت.

صوت الأغاني وماكينة القهوة، صوت العاملين بالمقهى وضحكات الجالسين فيه، ذهني المسكين تخلى عن كل شيء وحاول احتوائي، وابتلعني خيالي الساكن وتعمقت في أحضان عالمي الوحيد.

****

13 يونيو 2017

اليوم الأخير لي في جامعة القاهرة، مرت أربع سنوات منذ دخولي للبوابة الرئيسية، تعلمت فيهم الكثير وعِشت أيام سعيدة وأخرى قاسية، ولحظات وذكريات لن أنساها ما حييت، انتهيت من الامتحان وذهبت أتمشى في طرقات الجامعة استرجع كل ذكرى حفرت بقلبي قبل دفتر مذكراتي.

لكن لحظة خروجي من الامتحان لم تكن كما حلمت بها دومًا، كان يجب أن يكون حسن في انتظاري بيده هدية بسيطة ووردة أحتفظ بها كذكرى لهذا اليوم، نذهب مع جميع أصدقائنا لنحتفل بالتخرج وانتهاء رحلتنا الدراسية.

وبعدها يخطفني حسن من الجميع كما وعدني ليحتفل بي وحده بطريقته الخاصة.

جلست بجانب مبنى تجارة إنجليزي وامسكت هاتفي اتفقد الرسائل الواردة خجلت من نفسي عندما توهمت للحظة أنني سأجد رسالة من *حسن* يخبرني فيها بأنه ينتظرني، يا لحماقتي!

كيف سيأتيني رسالة منه وأنا بنفسي قطعت جميع حبال الوصل بيننا، حتى أن أراد لن يستطيع.

أمسكت عنقي بيدي أحاول التنفس بصعوبة، ولمحت خلف قناع القسوة الذي أرتديه أنين ضعيف يحن لحسن، شعرت بروحي تصارع عقلي وتحاول اقناعه أن مازال هناك أمل، ولكن عقلي حسم النقاش من بدايته وكتم ذلك الصوت ودفنه بداخلي حيًا.

- **ألو، أيوه يا رنا.**
- **متأكدة مش عايزاني أجي لك؟**
- **لا أُخرجي أنتِ براحتك أنا مليش مزاج، وهمشي دلوقتي أصلًا.**
- **أنتِ لحقتي دَ لسه الامتحان شغال!**
- **أه ما أنا خلصت في نص الوقت وخرجت.**
- **طيب استني شوية يعني مش لازم تروحي على طول.**

- هقعد أعمل إيه يا رنا مش طالباها ذكريات خالص، أنا طالعة اركب دلوقتي وهروح أنام.

اغلقت الهاتف وبالفعل خرجت من الجامعة وتوجهت للمنزل، ربما كانت رنا في طريقها إلي، وربما كانت تريدني أن ابقى في الجامعة لغرض آخر ولكني أكدت عليها مِرارًا عدم رغبتي بوجودها أو بوجود أي شخص معي اليوم.

لن أحتمل، قد تنهار سيطرة عقلي وينكسر قناع وجهي، وتتملكني لحظة ضغف فاعترف أنني يأخذني الحنين ليالي عديدة لحسن وتجلدني مذكراتي كلما قرأتها، يقتلني الشوق أحيانًا فأحتضن وسام في خيالي واتحدث إليها صحيح لم تكن عيني تذرف دموعًا، ولكن قلبي كان ينزف في الخفاء.

تجاوزت الساعة التاسعة مساءً وما زلت في غرفتي أتظاهر بأنني على ما يرام، احضرت كل ما تشتهيه نفسي من الحلويات والمشروبات لكن لم تنعم معدتي بشيء منهم، اتوجه لنافذة الغرفة أشاهد ظلام الليل بالخارج تارة. وأجلس على المكتب اكتب كلمات مبعثرة ليس لها معني في مذكراتي تارة أخرى وجلست في ملل على السرير ثم سمعت طرق على باب الغرفة فتحت الباب وفوجئت بصندوق أبيض كبير تحمله رنا بكلتا يديها ثم دخلت للغرفة ووضعته على السرير.

- أنتِ مقولتيش إنك جاية يا رنا! وأيه إللي أنتِ جاياه دَ؟

- بصي أنا عارفة إنك لسه مقررتيش أنتِ جاية الفرح ولا لا، ومش هتكلم معاكِ تاني وأحاول أقنعك اكتر من كدَ، بس من باب الاحتياط حبيت أجيب لك فستانك

- فستاني!!

- أه فستانك، أنا ووسام مغيرناش أي حاجة من إللي كنا عايزين نعمله، أنا جبتهولك عشان تقيسيه ولو في تعديلات تلحقي تعمليها، دَ لو أنتِ هتيجي يعني.

نظرت إلي وقالت كلمتها الأخيرة بلا مبالاة مقصودة ثم تركتني بداخل الغرفة وذهبت، وقفت في منتصف الغرفة لدقائق غير مدركة ماذا يجب أن أفعل، أشاهد الصندوق وقلبي يرتجف ولا أدري السبب، لقد تصورت أنني قد تخلصت من هذه الأحاسيس ولا أريد رجوعها مرة أخرى، لا أريد الانجراف مع تيار مشاعري الذي سيغرقني من جديد، لا أريد هدم الجدران التي بنيت حول قلبي في الفترة الأخيرة، مرت ساعة وأنا أجلس بجانب الصندوق وأضع عيني عليه بدون حركة، أحاول منع نفسي وفضولي من رؤية الفستان، ويحاول عقلي جاهدًا عدم الانصياع لقلبي.

بيد ترتعش وعقل خاضع ومغيب تمامًا فتحت الصندوق، أخرجت الفستان بحرص وعلقته أمامي على أحد مقابض الدولاب وتراجعت بارتباك عدة خطوات للخلف كي أتأمله، ثم أخذت وسادتي بين أحضاني وجلست على السرير مستندة بظهري على الحائط، وبداخلي صراع مميت بين فرحتي به وخوفي من ارتدائه، وظللت على نفس الوضع أشاهد فستاني حتى شروق الشمس.

الفصل السادس عشر

2 مايو 2016

انتظر هذا الشهر بفارغ الصبر اترقب المفاجأة بلهفة منذ الليلة الأولى فيه والتي قد تكون في أي لحظة، كان حسن يخلق لي يوم جديد في نفس الشهر ويزينه بتفاصيل تجعله خاص بنا فقط بعيدًا عن أي شخص أخر وعلى الرغم من انشغال حسن وابتعاده عني هذه الفترة إلا أنني واثقة أن طقوس احتفالنا لن تتغير، وبالفعل استلمت اليوم خلال المحاضرة رسالة من حسن جعلتني أخرج مسرعة للحمام لأضع بعض مساحيق التجميل وأنطلق لمكان انتظاره لي.

كان ينتظرني خلف مبني قاعات الامتحانات عند تلك المقاعد المختبئة تحت الاشجار في مكاننا الخاص الذي نختبأ فيه من انظار الجميع، يجلس في هدوء ووقار يحمل بيده حقيبة هدايا صغيرة، ركضت إليه في سعادة عارمة كطفلة استيقظت للتو في أول أيام العيد، ولكن حين وقفت أمامه ونظرت إليه قتلتني لمحة الاحباط في نظراته، كانت عينيه باردة على غير العادة، ارتباكه كان واضح من اهتزاز قدمه وعروق جبهته.

بدأت بهجتي تتلاشى تدريجيًا، وأنا أجلس بجانبه امسكت يده بحنان أسأله ماذا أصابه! ولكنه سرعان ما سحب يديه مني تجاهلت ما فعله وابتسمت مرة أخرى وأنا أميل بجسدي اقترب

من أُذنه قائلة: "طيب وحشتني على فكرة." لم يجب ولم يبدي أي ردة فعل، كانت عينيه مثبتة على الأرض وتفكيره سارح في مكان لا استطيع الوصول إليه، حاولت التقرب منه أكثر فلامست وجهه بأصابع يدي المرتعشة ووجهته نحوي:

- مالك يا حسن!
- أنا مش قادر أكمل

- تكمل إيه! مش فاهمة؟
- مش مرتاح يا سما مش قادر، صدقيني أنا فكرت كتير ولقيت إن دَ أحسن لينا إحنا الأثنين.

- أحسن لينا! ليه أيه إللي حصل فهمني أيه السبب؟
- مش هتفرق الكلام مش هيغير حاجة
- أنت جاي وجايب هدية عشان تسيبني، عاملها لي مفاجأة يعني؟

- دِ هدية عيد ميلادك أنا جايبها لك من زمان.
- حسن أرجوك متعملش كدَ، قولي أيه المشكلة ونحلها سوى، لو ضايقتك في حاجة قل لي؟
- مفيش مشكلة صدقيني، أنتِ مغلطيش في حاجة بس أنا تعبت،

شعرت أن إحدى شرايين قلبي قد قطع للتو، شعرت بثقل في أنفاسي وكأن هناك صخرة وضعت على صدري، تباطأت دقات قلبي وصرت انتحب في ألم، وما زاد انهياري أكثر هي دموع حسن التي أراد إخفائها وكانت تلوذ بالفرار على خده رغم عنه، لأول مرة منذ تعرفت عليه أراه في هذه الحالة هو أيضًا يتألم ولا يستطيع مفارقتي ولكنه مع ذلك يفعل، أردت مواساته فوجدت نفسي أبكي معه وأنا أمسح دموعه.

شلالات الدموع والآلاف المؤلفة من الكلمات لم تؤثر على قراره الحاسم، أمسكت يده أتوسل إليه؛ كي يوضح ماذا حدث ولا يتركني لأفكاري التي ستغرقني في بحر من الاسئلة لن أجد لها إجابة بدونه، يمكننا ايجاد حل لأي مشكلة سويًا ولكن بالفعل لم تكن هناك مشكلة، رحل وتركني فجأة بدون سابق إنذار.

خانتني ظنوني حين اوهمتني أن اليوم سيكون عيد لميلادي وأصبح اليوم المنتظر أسوء يوم في حياتي، سيظل ذكرى مؤلمة تنحر عنقي للأبد وسألعن هذا الشهر دومًا، بعدما تركني حسن ظللت أبكي طويلًا في مكاني دون حراك، ثم أمسكت الهدية اتفحصها بعين دامعة، سلسلة من الفضة يتدلى منها مكعب صغير يحمل أسمي في أحد الأوجه وأسم حسن في الجهة المقابلة، احتضنتها بين يدي في ألم.

فقط لو يخبرني قبل رحيله كيف هان عليه قلبي بهذه البساطة!
كيف تخلى عن أحلامه التي جمعتني به، لو يخبرني كيف اتجاوزه، كيف استمر في حياتي كأنه لم يكن هنا يومًا!

وكم سيكفيني من الوقت لأنساه! هل سيستطيع التأقلم بعدي!

كيف سيضحك قلبه في غيابي وكيف ستدفأ روحه من بعدي! كيف سيكون صباحه بدون رسالاتي وكيف سيمضي ليله بدون قبلاتي! وكيف لي أن أتخيل المستقبل وهو غير موجود فيه!

كيف لو يخبرني كيف لي أن أنجو من وحدتي بدونه!

****

16 يونيو 2017

غلبني النوم وأنا أتأمل الفستان الذي ظل على وضعه عدة ليالي، لم أتخذ قرار بعد لم يكن بريقه كافي ليجعلني أفعل، ازعجتني أشعة الشمس الحارقة حين اقتحمت غرفتي معلنة حلول الظهيرة، أمسكت هاتفي وأنا اتثائب بكسل كي اتفقد الوقت، وحينها انتبهت لتاريخ اليوم لم يعد هناك مجال للتردد، إما مواجهه الآن أو هروب للأبد، امسكت الفستان لادفنه في صندوقه مرة أخرى وبينما كنت أفعل لمحت ورقة مطوية بداخل الصندوق لم أُلاحظ وجودها من قبل، أمسكتها بخوف فسقطت على الارض فوجدتني التقطها من جديد بدون تفكير، يبدو أن بها رسالة، رسالة كتبت بخط اليد.

"زي ما أنا واثقة إن كلامي صعب عليكِ إنك تقريه صدقيني أنا كان صعب عليا أكتبه عشان مع كل حرف فيه بسقط من نظر نفسي أكتر بس كان لازم أعتذر لك.

أنا لما أتعرفت عليكِ زمان كنت عايزه أثبت لحسن ولنفسي إنك عادية ما تستهليش حبه وإني اولى منك بالحب دَ كنت غيرانه ومتضايقة منك بس لقيت نفسي مع الوقت بصاحبك غصب عني، لقيتك في أي موقف يحصل بينا بتطلعي دايمًا أحسن مني، أنا طمعانة المرة دِ كمان تبقي أحسن مني.

بعد إللي حصل أنا قررت أبدأ صفحة جديدة مع نفسي قبل أي حد تاني فهمت إن حسن عمره ما فكر فيا وعمري ما هقدر أخليه يعمل كدَ، حسن مش ليا وكان لازم أستوعب دَ من زمان، أنا فهمت حسن كل حاجة عملتها وحاولت أصلح إللي بإيدي بوظته يمكن دَ يحسن من شكلي قدام نفسي شوية حبيت اعتذر لك للمرة المليون ونفسي يبقى في فرصة نرجع صحاب تاني، يمكن أقدر ساعتها أبص لنفسي في المراية من غير ما أتخنق، اتمنى تيجي الفرح وتكملي فرحتي.

"سامحيني وسام"

انهيت الرسالة وتناولت كارت الدعوة لأتأكد مرة أخرى من التاريخ، ثم أمام مرآتي وقفت أتفحص وجهي و شرتي الشاحبة وتشعب أشجار الدم الحمراء في عيني من الأرق، وضعت يدي

على عنقي وعلى خصري اتحسس ثنايا جسدي النحيل، ثم تبادلت النظرات مع نفسي لا أدري ما يدور بداخلي، لا أعرف بماذا أُفكر، لا أعرف ماذا أفعل، لم يعد لدي أدنى فكرة عن ما قد يرضيني.

بدون مقدمات وجدت نفسي ممسكة بالفستان مرة أخرى لأرتديه وأُجري عليه بعض التعديلات؛ لأجعله يناسب قياس جسدي الذي فقد بضع الكيلوجرامات في الآونة الاخيرة، واستعنت بالمرطبات لإنقاذ بشرتي المدمرة، ولم أنسى هاتفي فوضعته في الشاحن، أستمر انشغالي لعدة ساعات دون أن أتوقف لحظة لإلتقط أنفاسي وأفكر فيما أفعله، ربما سأدرك خطأي إذا تراجعت خطوة للخلف وتأملت أفعالي ولكنني لم أفعل، ربما أردت هذه المرة أن أكون المخطئة بإرادتي.

****

الساعة الثامنة والنصف مساءً انظر لنفسي للمرة الأخيرة، كان سيد الألوان دائمًا هو لوني المفضل، وكان اختياري الأول ليكون لون فستاني في فرح رنا ووسام، كان الفستان بسيط للغاية يتناسب مع ذوقي الرقيق، وأضاف الأسود بريق رائع على بشرتي البيضاء جعلني أبدو كنجمة ساطعة، كنت بهذا القدر من التألق والجمال وكذلك البُعد، قامت مستحضرات التجميل بواجبها على أكمل وجه وأضافت لمسات سحرية برزت جمال وجهي وعيني الواسعة وجعلت معالم الأرق والإرهاق تتوارى تمامًا، وقد كان ارتداء حذائي الفضي ذو الكعب العالي أخر خطوة قمت بها قبل انطلاقي من المنزل.

أشبعت رئتاي بالهواء بنفس عميق استعدادًا للآتي، ثم دخلت القاعة بخطوات مضطربة، ألتفتت الوجوه إلي وسمعت مجاملات رقيقة زادت من ثقتي بنفسي، أومئتُ لمصطفى برأسي حين التقت أعيننا ورأيته جالس على أحد الطاولات جانبًا محاط بعدد ليس بقليل من الفتيات، ودارت في رأسي جملة واحدة في هذه اللحظة " صدق اللي قال ديل ال..."

ثم توجهت للطاولة الأولى في القاعة حيث كانت رنا تجلس في تألق وما إن رأتني حتى اتسعت ضحكتها وهرعت إلي تحتضني بحرارة.

- أنا مبسوطة أوي إنك جيتي.
- أنا قريت الرسالة
- وسامحتيها؟

- ما أنا جيت أهو،سيبي الباقي ييجي واحدة واحدة بقى
- عندك حق كفاية إنك جيتي وبقينا متجمعين كلنا النهاردة، وعلى فكرة شكلك حلو أوي.
- وأنتِ كمان، وميرسي على الفستان.

انتفض قلبي في فزغ أثر الزغاريد المفاجئة التي صدرت حين وصل كريم ووسام القاعة، و بدأ الجميع يلتفون حولهم في تناغم ويتراقصون بطريقة هستيريا على الأغاني مع موجة مِن التصفيق الحاد، فتركتني رنا مسرعة وذهبت إليهم وهي تجر ذيل فستانها الأحمر في دلال، ووجدت نفسي أجلس وحيدة على الطاولة.

أسأل نفسي عن سبب وجودي في هذا المكان واتفحص وجوه الجميع كطفلة مشردة، لم تفارق الابتسامة وجوه الجميع من حولي ووحدي تائهة في ظلامي، أبحث عن وجوهٍ أذهب إليها أو شخص واحد يفهم صراعاتي الداخلية، وينتشلني من خوفي وعجزي، ظللت اتلفت حولي ولم انتبه لرنا التي أقتربت من أذني وقالت بصوت مرتفع كاد يصيبني بالهلع.

- حسن لسه مجاش على فكرة.
- مين قالك إني بدور عليه.
- عينيكِ فضحاكِ يا سما.

نظرت لرنا في تهكم ألومها لقولها حقيقة كذّبها عقلي، وجاءت هي والقتها أمامي واجهتني بها، شعرت بالمكان يضيق بي شيئًا فشيئًا وضحكات الجميع والأصوات الصاخبة من حولي تضغط على اعصابي، شعرتُ بوخزة لعينة في قلبي، أردت استنشاق كمية أكبر من الهواء فلم يعد المكان يسع صدري.

تركت رنا وتوجهت لوسام وكريم وقدمت التهاني بوجه ممتعض وابتسامة بدت باردة قليلًا ورغم ذلك استقبلني كريم بابتسامة واسعة واحتضنتني وسام بحب، غلبنا الشوق واستمر حضننا لعدة دقائق وكأننا نعوض شهور غيابنا، همست في أذني بكلمات إعتذار فابتسمت وربت على كتفها في دفء ثم توجهت للبوابة أهم بالخروج تاركة الحفل في بدايته.

توقفت الأغاني فجأة وعم الهدوء للحظات كانت كلحظات السكون التي تسبق العاصفة، لم أتوقف ولم أكترث، و لكن خلال ثوانٍ قليلة أقشعر جسدي بالكامل وشعرت بأنفاسه في أذني، ثم علا صوته في الميكروفون،

قدم بصوته الدافئ تهنئة للعروسين مع بعض الكلمات الهزلية المرتبة من قبل فصارت الضحكات تدوي في القاعة، استندت على أحد الطاولات أمنع جسدي الواهن من السقوط، ارتعشت أطرافي وأنا استمع لصوته العميق يرن في الاجواء، اردت إخماد صوت عقلي مما يدور فيه، ولكن بلا جدوى انتهى حسن من الحديث عن وسام وكريم، ثم قدم اعتذار للجميع بكل ثقة قبل البدء مرة أُخرى في الكلام.

" هطول شوية عليكم بس استحملوني معلش، من ساعة ما شوفتها أول مرة وأنا حياتي اختلفت كنت واثق إنها إللي طول عمري حلمت بيها، حبيتها من أول نظرة وبعد ما عرفتها حبيتها أكتر، اكتشفت إنها أجمل كمان من أحلامي، بس للأسف ضيعتها

من إيدي وغلطت أبشع غلطة ممكن حد يعملها، كانت غلطة واحدة بس غلطة الشاطر بألف، وأنا عايز أستغل وجودها هنا واعتذر لها قدامكم كلكم، وأقولها إني عمري ما نسيتها يوم واحد وعمرها ما كانت صاحبتي هي كانت ومازالت و هتفضل دايمًا حبيبتي.

سما تتجوزيني؟ "

جلست على أقرب مقعد رأيته بجانبي وأغمضت عيني وأنا استمع لكلماته عني، وضعت يدي على قلبي أهدئ من نبضاته حين لفظ كلمته الأخيرة، لم استطيع إستيعاب ما يحدث.

لقد رأيت هذا المشهد من قبل مِرارًا وتكرارًا في الأفلام والمسلسلات، لكنني لم أتوقع أن أعيشه كأنني في عمل سينمائي أحداثه محفوظة ومملة!

مستحيل أن أكون أنا المقصودة من هذه الكلمات وأن يكون حسن، حسن بنفسه أعتذر وطلب الزواج مني أمام الجميع بهذا الشكل!

رفعت عيني أحاول النظر إليه فترك الميكروفون ولمحته قادم نحوي، اخترقت عيناه الازدحام من حولي وسلطت علي دون أن ترِف، رأيته يبتسم في غرور وتألق كملك قد توج على عرشه للتو، ورأيت الجميع ينظرون إليه في إعجاب، ثم توجهت أعينهم تلقائيًا إلي منتظرين ردي بحماس،

انتفض جسدي من جديد وهرب الدم من عروقي من نظراتهم الجريئة، استجمعت قواي بصعوبة وقمت أترنح بين الطاولات، خرجت من القاعة هاربة من الجميع وكم أردت الهروب حتى من نفسي في هذه اللحظة، أردت الاختفاء وألا يتمكن أحد من العثور علي.

لحق حسن بي خارج القاعة وأمسك يدي يجذبني نحوه بقوة، فتلامست أجسادنا وصارت أنفاسه الساخنة تلفح وجهي وعينيه تنظر لعيني بلهفة واشتياق، كادت حرارة جسده تحرق جلدي وقوة يده تهشم عظام ساعدي، ثم رفع وجهي بيده فتلاقت أعيننا مجبرة، وكم خفت من عينيه وكم خفت أن يبتسم فأنسى ما عانيت منه دهرًا ويخضع إليه قلبي طواعية.

- سيبني يا حسن

- مش هسيبك قبل ما تجاوبيني، أنا معترف بغلطي ومفيش أي مبرر للي حصل، بس خليكِ واثقة إني عمري ما بطلت أحبك من يوم ما شوفتك يا سما، دِ الحقيقة الوحيدة إللي لازم تتأكدي منها.

أردت الاستناد برأسي على صدره العريض عسى يزول الألم، أردت إشباع روحي برائحة عطره واخباره أنني أموت شوقًا إليه، وإن قلبي لم يتمنى رجلًا سواه.

أردت لومه على كل ليلة قضيتها سجينة وحدتي بدونه وكل ألم اعتصر قلبي بسببه، أردت تصديق حقًا أنه يحبني لهذا الحد ولكن ما الضمان!

مازالت أحبه وأريده وأشتهيه ولكن ما الضمان!

لقد هان عليه: حزني، قلبي، فراقي، ولم يحاول من أجلي ولو لمرة تعود الغياب والبعد، استطاع التأقلم شهور عديدة بعيدًا عني بينما كانت حياتي قد توقفت بالفعل، غابت عنه رسالاتي وقبلاتي ليالي طويلة ولم يتأثر وكأن قلبه كان كاملًا بدوني، مستحوذ هو على مشاعري وقلبي! ولكنه تعود العثور علي بدون مجهود، يعلم مكانته عندي ومقدار حبي له الذي لا يتغير أبدًا مع مرور الزمن وطول الفراق، ولكن لماذا أثق به هذه المرة وأتيقن من قراره؟

ألن يغيب عني من جديد!

ألن يصدق عني الأكاذيب مرة أُخرى!

ألن يبتعد حين يمل وتصبح حياتي روتينية!

كيف سأعيش معه وبداخلي شك عظيم إنه قد يتركني في أي لحظة.

إن قبلت طلبه الآن قد يعني هذا أنني سأكون الجانب الأضعف، وإن رفضت لن أسامح نفسي مطلقًا على فراقه الذي اخترته بيدي هذه المرة، ها قد أتى من يتمناه قلبي ويطلب أن يكون رفيق عمري ولكن هل فات الأوان!

رفعت يدي أمسك سلسلة حاوطت عنقي واختبأت داخل ياقة فستاني الأسود نزعتها بيد واثقة ورفعتها أمام وجه حسن، رأيت في عينيه نظرة احفظها جيدًا وشاهدتها مرارًا في المرآة، نظرة انكسار ورجاء لطالما أذاقني هذا الشعور، ولم يتحرك له ساكن وقد انقلبت الآية وحان دوري الآن.

ارتخت يده الممسكة بيدي فتخلصت منها بهدوء ورفعت عيني إليه، لم تتردد يدي حين تركت السلسلة لتسقط أمامه على الأرض، للمرة الأولى أشعر أنني خالية تمامًا من حسن، لم ترتبك أوتار قلبي من رائحة عطره ولم يرتعش جسدي من قرب أنفاسه، وبنفس مقدار رغبتي به وضعفي أمامه ها أنا أتخلى عنه؛ لأبدأ فصل جديد من حياتي، وأتعافى منه وإلى الأبد، ثم بصوت أشبه بالموت قلت له:

- **مش موافقة يا حسن.**

إهداء

إلي هؤلاء الحاملين في قلوبهم ذكريات حبهم الأول،

ومتمسكون بالأمل رغم الأستحالة، إلي نوبات الألم التي تزور

قلوبنا من حين الآخر....

نهاية روايتكم لم تأت بعد.....

حاضري و لو ذهبت.....